لايعلمون الكتاب إلا أماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2019 م
ردمك /(ISBN) : 978-9947-79-499-9
التوزيع الدولي للكتاب: لبنان، العراق، مصر ، الأردن، السودان.

اسم العمل: لا يعلمون الكتاب إلا أماني.
اسم المؤلف: نسرين خليفي.
تصميم الغلاف: أكرم قواسمية.
المدير العام / سميرة منصوري.
اخراج: سيف الدين.ل.

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 0666 76 28 50 / 033 85 65 75

بلومانيا للنشر والتوزيع
المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

نسرين خليفي

لا
يعلمون الكتاب
إلا
أماني

مقدمة

من أهم المسائل التي استوقفتني عند قراءتي لسيرة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي هجرة عمر بن الخطاب مقارنة بهجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ تساءلت: لماذا هاجر عمر بن الخطاب علانية متحدِّيا المشركين دون أي خوف ووجل، في حين هاجر رسول الله متخفيا محتاطا لنفسه!؟

أيكون عمر بن الخطاب أشد جرأة من النبي عليه الصلاة والسلام!؟

فوجدت الجواب في أروع ما يكون في كتاب فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ رحمه الله- حين قال:"أن عمر بن الخطاب أو أي مسلم آخر غير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعدّ تصرفه تصرفا شخصيا لا حجة تشريعية فيه، فله أن يتخيّر من الوسائل والطرق والأساليب ما يحلو له وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى.

أما الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو مشرِّع، أي أن جميع تصرفاته تعتبر تشريعا لنا، ولو أنه فعل كما فعل عمر لحسب الناس أن هذا هو الواجب، وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر والتخفي عند الخوف، لأجل ذلك استعمل

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل، ليعلِّم المسلمين أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله عز وجل، ولكن لا ينافي ذلك احترام الأسباب التي جعلها الله في هذا الكون سببا ".

و إن المتأمل اليوم في حال الأمة، ليرى أن الإسلام يكاد يتيه وسط هذا الركام من الأفكار والتصرفات التي تزدحم بمجموعة خسائس، لاشك في أنها بعيدة كل البعد عن القرآن الكريم والسنة النبوية، هذا ما جعل أعراض المرض تغزو الأمة المنهوكة وتصوِّر الإسلام فيما ليس فيه.

و إن غرس الفضائل والقيم التي جاء بها الإسلام في الأفئدة، لن يثمر إلاّ بأسلوب الإسلام نفسه، فلا نجاة لهذه الأمة مما ترتكس فيه إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولعلّ أهم المحطّات التشريعية في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي يجب النظر فيها والعودة إليها عند محاولة إماطة ضباب الفهم الخاطئ للإسلام، هي عندما عرض عليه أهل قريش سيادة مكة وملكها فرفض وآثر طريق المشقة من تعذيب للصحابة وتهجير للمسلمين على الملك والسلطان !

يتساءل المرء قائلا: لماذا سلك النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا المسلك المحفوف بالأذى والحروب!؟

كان بوسعه لو أصبح سيّد مكة أن يأمر باتخاذ الإسلام دينا وتحطيم ما كان يعبد أهلها من الحجارة والأخشاب!؟

جواب ذلك أن عقلنا في قوته المحدودة كبصرنا الذي لا يقرأ إلا على أشبار، فإذا ابتعد الخط عنه مسافة لم يميِّز منه حرفا، فقد أراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يربي المسلمين على أن بناء الأمم لا يكون إلا بالارتكاز على قاعدة صلبة أساسها اليقين والاقتناع بتعاليم هذا الدين، حتى يتسنى للمسلمين المُضي قدما نحو قمة الهرم وليس العكس.

فلا يعرف قيمة الإسلام سوى من بذل في سبيله المال والنفس والولد، لا يعرف قيمة هذا الدين سوى من عاش الضنك ووجد انشراح الصدر في إتباعه، فهذا الدين وما فيه من أحكام وفضائل تنفذ إلى صميم الفكر الحر بأشعة الهدى والإيمان، وتجعل الإنسان يتطلع ملء الفؤاد بمشاعر الرغبة والرهبة لهذا الإله العظيم.

فإذا أردنا أن ينقلب هذا الفهم المشوّه للدين إلى حركة إيجابية عاملة تصلح الانحراف وتقوِّم الاعوجاج وتعيد البناء الإسلامي من جديد وجب التعلق بالحق أينما لاح وأيًّا كان

المنادي به، والتخلص من ثقل الباطل مهما كانت المغريات التي أنيط بها أو الزينة التي غمس فيها.

في هذا الكتاب خُطّت سطور، دفعتني إلى كتابتها قلة الرسائل التي لا تحيد عن القرآن والسنة النبوية، وعرضها في أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين.

فالجهل الفاضح بهذا الدين أساس كثير من المشكلات والخلافات الطائشة التي استقرت في أذهان العامة ثم سيطرت على سلوكاتهم فراحوا يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة، فأضحى الإسلام في نظر العالم دينا يدعو إلى الحروب وإراقة الدماء، لما من دعوة فيه لرجم الزناة والقصاص في القتلى، دينا يدعو إلى تعنيف المرأة واستعبادها، وغيرها من السخافات التي صدرت الأحكام فيها جزافا، فلا تخضع لمنطق ولا يربطها فكر سليم.

لا جرم أن ما دعاني إلى كتابة هذه السطور من تصحيح لتلك الأغلاط والانحرافات تعود لسبب واحد لا ثاني له هو الكذب على دين الله.

لأننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة، لتلك الكثرة الساحقة من الناس، التي لا تعرف عن فضائل الإسلام وأنظمته

وآدابه شيئا، دون أن ننسى نصيب دعاة السوء ومحترفو الغزو الفكري من مستشرقين ومستغربين وأذناب وجهَّال، الذين بذلوا من الوقت الطويل والجهد العظيم وكتابات مستفيضة متلاحقة لاغتيال حقيقة الإسلام.

في قراءتك لسطور هذا المؤلف سيسود لديك اعتقاد لوهلة أنني أدعوك إلى الإسلام إن كان دينك غير ذلك أو أنظّر عليك لو كنت كذلك، وفي هذا وذاك أقول: أنه ليس لأي عبد شرف أن يحبه الله تعالى ويوفقه من لدنه ليكون من الدعاة لدينه عز وجل شأنه، فالدعوة لهذا الدين ليس كمثلها شيء، كيف لا وقد حمل هذه الرسالة سوى من اصطفاهم الله برسالته وبكلامه!؟ إنهم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

فليس لأي عبد شرف أن يحمل هذه الأمانة وهذا المشعل بعدهم ويسير على خطاهم إلا من كان أحب الخلق لواجد الوجود.

و إني لأرى نفسي أجهل خلق ربي من ألتحق بهؤلاء الأفاضل، لكن إن وفقني الله ولو من قبيل الصدفة أن يذكر اسمي معهم فسأقبل ذلك بكل حب وامتنان لله الواحد القهار.

سأسعى بحول الله في هذا المؤلف وفي محاولة لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام أن أرطب جفاف التفكير

العقلي برشحات من المشاعر الحية بعيدا عن التملق والتكلف في الألفاظ لسببين:

الأول جهلي ببلاغة هذه اللغة وقصورا مني أن أنافس فيها أربابها وأساطين بيانها.

و الثاني أن تطوّر الأدب في عصرنا لا يمكن لنا إنكاره، فقد بلغ من تمكن المؤلفين والمتأدبين في اللغة أن تناولوا العديد من المواضيع التي لا تخدم الأمة فأخرجوها في حلّة مبهرة واستقطبوا ألوف القرّاء بسحر بيانهم إلى الخوض فيها، ولهذا آثرت بساطة الألفاظ ليتسنى للعامة قراءته على مكث وبكل يسر وسلاسة، عن طريق البحث النزيه والمبرأ عن الغرض، المستقيم على النهج الذي لابد من أن يؤدي بنا إلى الحق والصواب، ولو أنه يصعب ذلك في ضجيج الخصومة السافرة، ولو أمكن الوصول إلى الحقيقة فإنه يصعب تصديقها والاقتناع بها.

أيهم أجرم بحق الإسلام؟ غرب حاقد ساعٍ لإطفاء نور الله بأفواهٍ هي أسرع للفتنة والافتراء من النار إلى الفراش؟

أم مسلم جاهل لدينه وتعاليمه، متعلق بما لا ينبغي التعلق به!؟

سأحاول بعون الله وتوفيقه ومدده مناقشة هذا من خلال عرض نصيب كل منهما في إعطاء هذا المفهوم الخاطئ للدين، وكلّي يقين أنني لم ولن أستوفي الموضوع حقه، ومردّ ذلك إلى عجزي وقصوري ولا شك، وأيضا لا أريد أن أفيض في ذكر المسائل ومتعلقاتها إلى الحد الذي يصعب على القارئ أن يقرأ الكتاب كلّه لقاء جهد يسير.

مع الجزم بأن الكمال المطلق غاية لا تدرك، والعصمة من الزلل مستوى لا يصار إليه، ويقيني الذي لا يدخله ريب أن الأمر كله بيد الله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله.

نسرين خليفي

غير المسلمين

معرفة الله تعالى موجودة في كل طبع، واسمه معروف في كل لغة، واختلاف الأجناس والألسنة لم يصرف الأفئدة عنه جلّ في علاه، بيد أن هذه المعرفة به سبحانه لم تأخذ صورة واحدة فقد اختلفت الطرق والعقائد على كل شكل ولون وفي ظن كل منهم أنهم يعبدون الله بها، ولهذا نجد انطباع الناس على الإسلام يختلف من نفر إلى آخر، حسب يقظة العقول وحركة الميول ورقابة الضمائر.

فنجد فئة منهم تعظّم الإنسان وتمجّده أيما تمجيد وتوقّره أيما توقير، لهذا احترمت بل وقدست كل ما تعلّق به من حرية سياسة ودينية وفكرية...، ولهذا تراهم يحفظون للإنسان كرامته ومتى ما نادوا بحقوقه لم يميّزوا في ذلك بين مسلم وغيره، فتجنبوا بذلك أشواك الخلاف الذي اجترته الأمم من ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية لا تستند إلى منطق ولا فكر سليم.

أناس أجمل ما يقال عنهم أنهم أوتوا مقياسا وميزانا من العقل الرشيد، الذي قادهم إلى ترك غيرهم إلى ما اطمأنوا إليه من حرية الرأي والفكر، فقد آثروا الابتعاد والإعراض عن السخافات الزاعمة أن الحجاب خطر، وإطلاق اللحى تخلّف وإرهاب وغيرها من السخافات، التي نغالب السآمة التي

تعترينا كلما خضنا فيها حديثا، أو سطرنا فيها حرفا، بمنطق وزعم من تجد هذه الأفكار في عقولهم حضنا.

فعقول هؤلاء الناس وما يودع فيها من ذكاء وبصيرة ويقظة الضمير عرفت أن أكثر ما يلوح في آفاق الحياة من خير وشر، وبأس ورجاء، وحزن وفرح، لا يُحكم عليها من تصرفات أشخاص يّدعون نسبتهم إلى دين أو وجهة معينة، لأنه من الصعوبة البالغة للمنصفين أن يتهربوا عما تحكم به البداهة الواضحة.

فنُصرة المظلومين ومُآزرتهم والاهتمام بهم اهتماما انتقائيا يعتمد على هويتهم طبق ما يستهوي الأنفس ويتفق مع الغرض تسفيه للنفس في تصنع الإنسانية وإعلاء مقدارها، لا يقدم عليه من كان كريما على نفسه معتزا بعقله.

بيد أننا نلحظ ـ آسفين ـ أن هؤلاء قد غشاهم ما غشاهم من التعتيم والتهميش، حتى تناهى إلى عقولنا ومسامعنا انعدامهم واستحالة وجودهم، لأن جُل الأعمال الإنسانية التي يتفانون فيها من سماحة في المعاملة، وعدل وإحسان...تطوى في صمت، وإنا لا ندري أَشر أريد بهم بذلك أم رشدا.

إن السيادة في هذه الأرض فيما علّمنا إياه رسول الله إنما هي للإنسان من حيث هو، فهو المستخلف عن الله وهو

المكرّم بحكم الله، فإن تفاوت الناس في هذه السيادة فإنما يتفاوتون بالعمل الصالح ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى.

إلا أن طائفة منهم يرون بأن العزة والرفعة حكر عليهم دون نُظرائهم من الناس، اعتمادا على امتيازات يتباهون بها، لمالٍ وعلوم وتقدم واستقرار ينعمون به على حساب غيرهم.

أحبوا الغنى لأنفسهم وأهليهم في حين حبّذوا الفقر لغيرهم، القوة لهم ولذويهم، والضعف والرعب لمن دونهم، احتكروا العلوم ولا بأس برمي بقايا الفتات منها لبعض العقول، فتعلقوا بهذه الأفكار وبنوا عليها مسالك طائشة فما زادتهم إلا نوما في ظلال العار والخزي.

تراهم يتكلّمون عن العدل والمساواة وحقوق الإنسان فيلوون ألسنتهم بعبارات مشحونة بالكبر والغرور، لن يصعب على عاقل فهم باطنها وقراءة ما بين سطورها.

بربكم فئة هذه خصالها أليست خطرا على البشرية على اختلاف الألسنة والألوان والأديان!؟

هذه الفئة لو أرادت أن تضع على الواجهة دينا آخر غير الإسلام ليكون دين الإرهاب لوجدت السبيل والمبررات لذلك، وإن عَسُر عليها للفّقت الأكاذيب التي لا تتقن سواها، فكما يقدم الشجاع في ميادين الخطر، وصاحب الجود في مواطن

البذل ينفق، والصادق في أداء الحديث يتحرى الحقيقة، فإنها إن دُعيت لواجب إنساني أخلاقي صحيح لفرّت نافرة منه.

لقد اختارت قوافل هذه العيِّنة من الناس الإسلام وحده ليكون دين الحرب والدماء أينما لاح وارتحل، فجندت لهذا الغرض أقلاما، ونشرت ابتغاء تحقيق ذلك أُعطيات وأموال، فأصبح الإسلام مصطبغا بهذه الصبغة الباطلة.

إلا أن الواقع الذي يعلو به صوت البديهة، والعقل الذي يحكم بأن اجتماع النقيضين مستحيل، يسوق الفكر إلى سؤال: إذا كان الإسلام ومن اتّبع سبيله دماء وإرهاب، فلماذا يكون المسلمون هم الضحايا دائما في أي حرب تقع في أي بقعة من هذا العالم!؟

و لو كان حقا دين الحروب، لماذا يدخل الناس فيه أفواجا!؟

إن أعداء الإسلام عجزوا عن هزيمته في ساحات القتال، لم تجدي معهم الحيل لسحقه في عقر داره فدسُّوا على المسلمين وغيرهم من يصور لهم الإسلام في غير صورته، فكان من نتاج ذلك ما سُمي بـ (الإصلاح الديني)!!

و كما قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مقدمة كتابه فقه السيرة النبوية أن الدين الصحيح ما كان يوما ليفسد حتى يحتاج إلى مصلح أو إصلاح، فكان من بوادر هذه الحركة

الفكرية أن حاولوا دراسة سيرة النبي ـ محمد صلى الله عليه وسلّم ـ وفق تحليل يسير في خضوع منكسر وراء العقلية الأوروبية.

فأخذوا يفسرون القرآن الكريم والسنة النبوية تفسيرا علميا ماديا ولو كان ذلك بكسر ولـيٍّ أعناق الآيات ليًّا، فلم يؤمنوا بما لم يصل إليه العلم والتجربة، ونفوا المعجزة ذاتها من حياته ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ ونسوا أن الله تعالى قال في علمهم نفسه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ 85الإسراء

و لا يخفى على عاقل متدبر، وباحث نزيه، كيف استغل الاحتلال البريطاني لمصر إذ ذاك هذا الفهم الجديد للإسلام، فقد كانت مصر آنذاك منبر العالم الإسلامي، وكان استمرار إنصات العالم الإسلامي للأزهر وعلمائه ما لا يدع للاحتلال البريطاني فرصة هدوء واستقرار، ما بقيت للأزهر هذه المكانة والقيادة.

فكان أمام الاحتلال أحد الطريقين لطمس الهوية الإسلامية وإضعاف الوازع الديني في الأفئدة لا ثالث لهما، الأول أن يقطع مابين الأزهر والأمة، وهذا صعب إن لم نقل أنه مستحيل، والثاني أن يتم التسلل إلى مركز العمليات القيادية في الأزهر ذاته، ولم يتردد في اختيار السبيل الثاني كونه الأقرب منالا وأبعد عن الملاحظة والانتباه.

فأخذوا يفسّرون المعجزات في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدعومة بدلائل الحق واليقين بالقرآن الكريم ـ حسب ميولهم النفسية ورغباتهم الشخصية، فقالوا عن إسراء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سياحة للروح وعالم الرؤى، وعن الملائكة في غزوة بدر أنه مجرد دعم معنوي من الله للمسلمين، بل إنهم فسروا نبوة النبي عليه الصلاة والسلام وإيمان الصحابة به والفتح الإسلامي إلى ثورة يسار ضد يمين، أثارتها بواعث اقتصادية ألهبتها ردود الفعل لدى الفقراء ضد الأغنياء!!!

و من المؤسف أن يجد هذا الفكر في عصر العلم والاعتزاز به وبمنهجيته دعاة إليه ومؤمنين به، في صفوف المسلمين أنفسهم الذين استقرت في أذهانهم رواسب هذا الفكر الطائش، فقالوا منبهرين بالنهضة الأوروبية أنه لا سبيل للنهوض مما هم فيه من اضمحلال وهوان سوى أن يفهموا الإسلام هنا كما فهمت أوروبا النصرانية هناك، فحرّموا بذلك الحلال وحللوا الحرام، وأخذت الفتاوى تتبادل بينهم كما تتبادل الكرة أرجل اللاعبين، ولكن للأسف لا على النهضة العلمية عثروا ولا على دينهم أبقوا.

يقال أنه إذا أردت القبض على مجرم فعليك التفكير بنفس تفكيره، فإذا أردنا أن نفهم سبب سعي هؤلاء لاغتيال حقيقة الإسلام لابد أن نتبادل المواقع معهم للحظات، نستقصي فيها الدافع وراء جهودهم العظام في سبيل سحق الإسلام ـ هيهات هيهات لما يوعدون ـ من خلال الإجابة على جملة من الأسئلة تكون حاسما في إبعاد كل شبهة توهم أن الإسلام هو ما اتفق عليه هؤلاء الشرذمة من المغفلين.

◊ لماذا لا تكون المسيحية ديانة الإرهاب!؟

بعد أن جثت الدولة الإسلامية على قدميها أمام الصليبية الغازية شهد العالم حربا ضروسا شنتها أوروبا المسيحية على العالم الإسلامي باسم نشر العلم والأخذ بهذه الأمم نحو التطور والتقدم، إلا أن مقصدها لم يكن سوى النهب والسلب والتقتيل...

ألا أحدثكم عن ذلك وأنا ابنة بلدٍ عاش تحت الاستدمار الفرنسي لمدة 132 سنة!!؟

طوال فترة بقاء فرنسا في الجزائر لم تترك فرنسا سياسة ولا سبيلا لطمس هوية الشعب الجزائري الإسلامية إلا وسلكته، فكان من ضمن ما طبقته ما سُمي بـ (سياسة التنصير)، وكان

مضمونها أن يُجمّع الأهالي العزل وخاصة الأطفال منهم ويحرمون من الزاد والشراب لأيام، ثم يحملون الخبز بيدٍ والصليب بيد أخرى مجبرين إياهم على اعتناق المسيحية مقابل إنقاذ أنفسهم من الهلاك.

أليس هذا إكراها على الدين في أجلّ صوره الذي اتهموا الإسلام به؟!

و لن ننسى الحرب على البوسنة التي راح ضحيتها 130 ألف مسلم أو يزيد كانوا يمثلون الوجود الأخير للمسلمين الأوروبيين الأصليين في أوروبا، تمت إبادتهم عن بكرة أبيهم.

فأوروبا المسيحية يجب أن تطهّر من المسلمين، والسبيل إلى ذلك هو قتل كل المسلمين فيها...

قارة قتلت ما يقارب 6 مليون من اليهود حرقا، اليوم تنسب القتل وسفك الدماء للإسلام والمسلمين!!

و أي عقل يصدق ذلك ويأخذ به، إلا إذا كانت أحوال الجهّال تسمى علما، وأحوال الكذابين تسمى صدقا!!؟

أليس في هذا وغيره مبررا لتكون المسيحية ديانة الإرهاب!؟

لكن طالما أنه لا وجود فيها لِـ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ 194البقرة

فلا خطر فيها ولا تهديد في من يعتقد بأنه إذا لُطم خدّه

بصفعة أدار خده الآخر لصفعة أخرى!!

◊ ماذا عن الديانة اليهودية!؟

إن ما يكتنف العالم من أحداث ليقطع يقينا أن ما يرتكبه الصهاينة في أرض فلسطين المحتلة من مجازر لا تمت للإنسانية بصلة لمبرّر جلي وسبب كافٍ لجعل أصحاب الضفائر وقبعةٍ صغيرة تتوسط الرأس إرهابيين بكل ما للكلمة من معنى.

سلب ونهب، تقتيل وتنكيل وتدمير، استباحة حرمات ومقدسات الفلسطينيين لمبرر لجعل هذه الديانة تبث الرعب في نفوس من يسمعها، وتبلغ القلوب الحناجر عند التصادف مع من يدين بها.

بل إنه لمن المفارقات العجيبة التي يقف العقل حائرا على أبوابها أن الحروب الصليبية أصبحت في طيات الماضي المدفون، فحرب البوسنة ـ مثلا ـ يكاد العالم لا يسمع بها، في حين يحدث العكس عندما يتعلق الأمر بمحرقة اليهود!

بل إن الطامة الكبرى أن العالم اليوم يُجبر على التكفير عنها بالتسامح مع ما يرتكبه الكيان الصهيوني في الفلسطينيين، مع أنه لم يُتهم فلسطيني واحد بحالة حرق واحدة!!

◊ ماذا عن البوذية وعبدة الشيطان!؟

أما الأولى فهي تجعل كل من انتسب إليها اليوم يداه ملطختان بدماء مسلمي ميانمار، أبشع عمليات التقتيل والإبادات الجماعية التي شهدها العالم.

لكن بالرغم من ذلك فهي لم تتصدر عناوين الجرائد العالمية لتكون ديانة الإرهاب، بل نجدها تسمى بـ "عمليات التطهير العرقي"!!

إننا نرى قتلة وسفاحين يقومون بما لذ لهم وطاب من الجرائم يفلتون بشكل أو بآخر، والأمرُّ من ذلك كله أن من يقومون عليهم يرشحون بل يتحصلون على جائزة نوبل للسلام!!!

لقد تجاهلت تلك الفئة التي تدعي دفاعها عن حقوق الإنسان أن لحوم مسلمي بورما أصبحت تعلب وتباع في أقذر صورة تنسب العار والخزي لهذه الديانة، تم تجاهل صورة سلخ لحوم البشر كما تسلخ وتقطع الأنعام!

و لعليّ اليوم فهمت مقصد من ألّف قصة"ماوكلي فتى الأدغال"روديارد كبلينغ، فقد رأى من بشاعة البشر وطباعهم ما جعله ينقلنا إلى عالم الغابات لنرى كيف أن للوحوش المفترسة أن تتعايش فيما بينها في حين يرفض البشر ذلك!!

أما الثانية فهي ما تجعلني أهز رأسي عجبا، في ذاك الذي يخرج ليرى أشكالا مقززة ومفزعة تملؤ النفس رعبا، يطلقون على أنفسهم عبدة الشيطان؟!!

أشكال لا يختلف العقلاء على بشاعتها وتأثيرها في المجتمع الذي يفترض أن لا تتواجد فيه، لما تدعو إليه من انحلال أخلاقي، كيف لا و(كراولي) على رأسها؟!

بل انتهت تلك العقول الفارغة إلى القول بأنها حرية معتقد، في حين يرون ارتداء المرأة للحجاب إرهاب!

أي خبط هذا الذي وقعوا فيه؟ أهؤلاء من يدعون التمدن والتحضر؟!

لكن بالرغم من كل هذه المبررات وغيرها الكثير الكثير التي تجعل مختلف هذه الأديان وغيرها في مقدمة العثرات التي يجب التخلص والحد منها، إلا أنهم اختاروا الإسلام تحديدا!!

◊ لماذا لم يتفقوا على شيء إلا على حرب الإسلام!؟

إن الإسلام عندما جاء خاطب القلب والعقل، واستثار العاطفة والفكر، وأيقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية، ولما طبق واقعا في الحياة ولم يقتصر على البقاء مبدأ نظريا

فحسب، ظلت الدولة الإسلامية هي الدولة الأولى في العالم قرابة ألف سنة.

فكلما رأيت تكتلا أمام الإسلام فافهم أن الذين يتكتلون ضده يفهمون قوته، ولو لم يكونوا فاهمين لقوته لما تكتلوا أمامه ذلك التكتل، فهم يدركون أنه إذا استيقظ كمبادئ وكمنهج وسلوك فلا يبقى لظالم دولة ولا لطغيان أمة.

في الإسلام لن يكون هناك داعٍ لحروب أهلية تباع فيها الأسلحة وتسوق فيها المخدات، فكل المسلم على المسلم حرام، وحرمة المسكرات في الإسلام تجعل العبد المؤمن بربه الخاضع له يبادر إلى مرضاته ويفر من سخطه، فلن يجرأ على تعاطيها.

في الإسلام لن تجد مسلما يتهاون في أداء واجباته أو يؤديها على غير وجهها، فلن يتجاهل قوله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ 195البقرة، وتحسين الشيء أي أداؤه على خير وأحسن وجه.

لن تفرق ما بين السيّد والعبد فالكل سواسية كأسنان المشط، ولا تفاضل بينهم إلا بتقوى الله جل وعلا، الكل يقفون في صف واحد ويسجدون لمعبود واحد، لن ترى سطوا من فقير على مال غني، فالأول حرم عليه أخذ ما ليس له والثاني

مأمور بإخراج ما كتب عليه في ماله، يرد في فقراء الأمة...

لن تختلط الأنساب، فالإسلام ضبط العلاقات الاجتماعية بأروع نظام أن حرم الزنا ووضع لها حدودا.

المسؤول ما هو إلا خادم لشؤون رعيته، فمحال أن ترى أحدهم يعرف ثقل الأمانة ويفرط في أدائها.

لن ترى مسلما يفرط بالسعي لطلب العلم، ولا امرأة تتاجر بنفسها، ولا تطفيفا في ميزان، ولا خيانة أمانة، ولا تخاصما بين المسلمين على اختلاف الألسنة والألوان والبلدان ولا ولا ولا...

إن البشرية بفطرتها تحلق في أجواء مشرقة من توحيد الله، فإذا علقت بها حبائل الشيطان ورانت عليها أثقال الشهوة وملذات الدنيا تفسدُ البيئة، وفساد هذه الأخيرة خطر على الفطرة نفسها فهي تمسخها وتشرد بها وتخلف فيها من العلل ما يقطع الصلة بين الإنسان وربه، وما يربطه بالحياة رباط إنتاج وجد

و للأسف هذا ما بلي به الإسلام والمسلمون.

المسلمون أنفسهم

قال الشاعر العربي قديما: "ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ، ما يبلغ الجاهل من نفسه".

لقد بُلي الإسلام بقوم فقههم قليل، وبصرهم كليل، وإدراكهم للنصوص رخيص، فالمسلمون اليوم فقراء إلى الإيمان الذي يصلهم بربهم صلة وفاء وبرّ.

فبعدما عرضنا بعض ما يسعى أعداء الإسلام إلى توريده لنا من شرور وأساليبهم في ذلك وبيّنا على نحو موجز نصيبهم في إعطاء هذا المفهوم الخاطئ له، وجب الوقوف على نصيب المسلمين أنفسهم من ذلك.

فإذا كانت الوافدات التي تفد إلينا من شرورهم وافدات مخطط ومرسوم لها ـ ولا شك ـ حتى لا يكون المسلمون كما يريدهم الإسلام، فمن باب ما يقضي به المنطق أن نرى كيفية إقبالنا على مخططاتهم من خلال عرض بعض الأمور التي يفترض أن تكون واضحة معلومة على نحوها الصحيح في ذهن كل مسلم ومسلمة، بل كان يجب أن تكون شارة لحياتهم بالغدو والآصال.

فقد أصبحنا ننشغل بالكثير من التفاصيل التي لا تسمن ولا تغني من جوع، كقول أحدهم ـ مثلا ـ أن صيام يوم عرفات لأنه مصادف ليوم السبت مكروه ومنبوذ بل لا يجوز، وحجته

في ذلك أنهم قالوا !

فلو كان ذلك حقا بزعمه، فلا يجوز لنا أيضا أن نضحي بالأضحية حتى يوم آخر لأن عيد الأضحى صادف يوم السبت!

إنه لمن العبث أن نضع الفروع في موضع الأصل ثم نتجاوز الأصل مطلقا، وإقحام اسم الله ودينه في نقاشات كهذه ضرب من الجنون التي خلفها عشاق الجدل الفارغ، والذي لم يرقى بالأمة لأي من أعالي الحضارة والفكر.

و لهذا سأعرض بعض العناوين التي فهمناها على غير نحوها، واستغل المتربصون بالإسلام ذلك فينا.

فالعدو الأول للإسلام هو المسلم نفسه الجاهل لدينه الفاهم إياه على غير مقصده وفحواه، فهو أضرى عليه من أعدائه السافرين.

حقيقة التوحيد

" أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله "

الشهادتان أعظم أركان الإسلام وأولها، فلا يكون الإنسان مسلما إلا إذا نطق بها لسانه، مطمئن بها قلبه، مدركا إياها عقله، حتى لو كان مقتنع القلب بوجود الإله الواحد.

بيد أن فهم العامة ـ للأسف ـ لها بعيد كل البعد عن مرادها ومضمونها، فأن يشهد المرء أنه لا إله إلا الله أي نفي واستنكار كل ما يمكن أن يكون شريكا لله وإفراده بالألوهية وحده جلّ في علاه.

و السبيل إلى ذلك هو أن يشهد أن محمدا عبده ورسوله بإتباع أفعاله، سنته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا مجرد الاعتراف بأن محمدا مبعوث من عند الله، مكلّف بتبليغ رسالته.

فالفهم الخاطئ لمضمون الشهادتين ألحق بالإسلام وأهله ضررا بليغا، بعد أن فهموا أن حسن الصلة بالله وهو الأصل والأساس ولا شك يجبر النقص في بقية الواجبات المفروضة، فجعلوا كلمة التوحيد كلمة لا تكاليف لها ولا عمل معها فأصبح الإسلام فكرة نظرية تجول في العقول ولا يربطها بواقع المسلم أي رباط.

إن هذا الإيمان الصوري الشائع بين الناس وما أكثره، الذي تدرج فهمه إلى القول: بأن الواجبات المفروضة يمكن أن تتلاشى ويغني الإيمان المجرد عنها!!

هذا ما جعلنا اليوم نرى أحد من يزعمون الإسلام لا يميزه عن اليهودي والنصراني وربما من لا دين له شيء !

فالكل لا يدخلون المساجد، ولا يقيمون الفرائض، والكل يشرب الخمر، ويفجرون بالأعراض...

و يزعم هؤلاء المغفلون أنه يكفي أن يؤمن بالله ورسوله، وبالقرآن والصلاة، ولا حرج بالتفريط في إقامة حدود الله وأداء فرائضه، لأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال في حديث له:"من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ".

عقول قاصرة وأذهان فارغة جاهلة تتهافت وتنطلق بحثا عن آيات وأحاديث تبيح لهم الخروج عن دين الله واللعب به، فكأنهم يريدون بذلك أن يكون الله على دينهم، ولا يكونون هم على دينه، ويريدون من الإنسان أن يكون مشرِّعا، والله تابع له فيما قرره، متجاهلين بقية الأحكام والمقصود الأصلي منها، فأخذوا من القول قشوره وتركوا باطنه ومراده!

و لقد ذهب علماء الحديث في شرح هذا الحديث وغيره، ومنه ما رواه أنس أن النبي عليه الصلاة والسلام ومعاذ رديفه

على الرحل قال:"يا معاذ، قال لبيك وسعديك ثلاثا، قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول أفلا أخبر به الناس فيستبشروا!؟ قال: إذن يتَّكِلوا؟ "

و أخبر به معاذ عند موته تأثما.

قال العلماء أن هذه الأحاديث وغيرها لها معنيان:

الأول: أنه قيل في صدر الإسلام(بدايته)، فقد كانت مهمة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يحارب الوثنية السائدة، فهذا الحديث تصوير لأول ما بُدئ به الإسلام فلما فرضت الفروض وحدت الحدود، نسخ ذلك وذهب إلى هذا القول الضحّاك والمنذري وأبو سفيان الثوري وغيرهم...

الثاني: قالوا أنه ليس من الضروري القول بأن هذا الحديث جاء في بداية الإسلام لأنه بعد ذلك جاءت متمّماته، فكل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين.

و معروف أن صيام رمضان لم يكن معروفا في العهد المكي، فقد شُرِّع الصيام بعد 15 سنة من بدء الإسلام، والصلوات الخمس شرعت ليلة الإسراء قبل ذلك كانت سِنْتيْن سِنْتين، الربا حُرِّم في أواخر الإسلام، الحج لم يشرع إلا بعد أن

استطاع المسلمون فتح مكة...

فالعجب أن العامة تعلقوا بهذا الحديث وأمثاله دون علم وفهم صحيح به، فنقضوا بذلك بناء الإسلام وهدموا أركانه، وهوّنوا من خطر عدم إقامة شرائع الله.

يعني بحسب فهمهم وزعمهم، أن الإيمان يكفي أن يكون لفظا عابرا وقولا فارغا، وأن الإنسان مادامت شفتاه نطقت بكلمة التوحيد فلا عليه إن قصر في جنب الله، ولا عليه إن فرط في حقوق الله، وهذا تفكير لا أساس له في ديننا.

إن القرآن الكريم عندما يُعرّف اصطلاحا يُقال"المتعبّدُ بتلاوته"والتلاوة في معانيها الأولى أن يقرأ الشخص ويعقل (يفهم) ما يقرأ، ويعمل بما يقرأ.

و هنا نجد الفرق بين القراءة والتلاوة، فالأولى تعني أن يقرأ الشخص ولا يعقل ما يقرأ (دون استيعاب وفهم)، لهذا كان من روائع الوحي الإلهي أن أول ما نزل على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ"اقرأ "، أي ردِّد وكرِّر فقط، لأنه بأبي هو وأمي لن يستوعب الأمر في بدايته لرعبه وفزعه صلى الله عليه وسلم.

لكن بعد أن أَلِف الوحي بل وصار يشتاق إليه، صار أمر الله له ب﴿ وَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف27

و قال تعالى عن التلاوة﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾البقرة121

فمن قرأ الكتاب وحتى الكتب السماوية السابقة وعقِله وعمل به كان من أشد الناس إيمانا بالله جلّ وعلى وامتثالا لأمره.

و إن في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة2 لدلالة دامغة أن المراد بالقرآن وتنزيله هو قراءته وفهمه والعمل به، لا أن تكتفي الأفواه بترديد كلماته الكريمة وإن كان في ذلك عند الله لأجر، لهذا قال"يتلو" ما قال "يقرأ".

فأخلاقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأفعاله تطبيق لما جاء في القرآن وتجسيد له ليبين لنا الله جلّ وعلا ونبيه الكريم أن القرآن وما فيه من أحكام ليست أحكاما نظرية لا يمكن تطبيقها، بل يمكن أن تجسد واقعا وتكون منهج للحياة.

ثم ما الذي يوزن في الدار الآخرة؟ أليست الأعمال التي تميل بالإنسان إلى النعيم أو الجحيم، والآيات الدالة على أن العمل أساس دخول الجنة كثيرة:

﴿ولَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾الأنعام 127

﴿وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف 43

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾النحل 32

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾الزخرف72

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(14)﴾ الأحقاف

ولو أردنا أن نستعرض الآيات الدالة على ذلك لاستعرضنا القرآن كله.

إن الله تعالى قد أهلك أمما بسوء عملها، فهل نحن وحدنا من نريد ارتكاب السيئات دون حذر ووجل؟ ثم في ظل كلمة لم نحسن خدمتها ولا فهم معناها ولا الوفاء بها ندخل الجنة؟، إنه ضرب من الجنون.

لو قارنا بيننا وبين أهل الجاهلية الأولى لما وجدنا فارقا سوى أننا نطقنا بكلمة التوحيد ولم نفهمها، وهم فهموها ولم ينطقوا بها.

إن الصلة بالله (الشهادتين) هي القائد الأول لبقية الشرائع، وصحتها ضمان للنجاة في الدنيا والآخرة.

أمّا أن نتجاهل وحيه، ونفضل أن نحيا وفق هوى النفوس، ونأخذ من الدين ما لا يصادم هذه الأهواء، ثم نطرح جانبا أهم شُعب الإيمان فذلك يجعل الإيمان علاقة مفتعلة بالله الواحد لا تبعث على كمال، ولا تصون عن نقص، وتخلع صاحبها من الإيمان خلعا، ولا تحقق فيه خلقا عظيما.

فكما قال الإمام محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه عقيدة المسلم"أنه إذا اختلف القدامى، هل العمل ضرورة للإيمان أو كمال فيه؟ ترجح لدى العامة أنه كمال فقط، فيستفيد المجتمع من هذا الخلاف ترك العمل!!

و إذا اختلفوا، هل للإنسان قدرة وإرادة يفعل بهما ويترك؟ أو هو مقهور مكتوف اليدين؟ ترجح لدى العامة أن المرء لا عزم لا حول له ولا طول، فيستفيد المجتمع من ذلك سقوط الهمة وخَوَر العزيمة!!

و إذا اختلفوا في، هل للمسلم الحق في الالتجاء إلى الله دون وساطة الصالحين من الأحياء أو المقبورين؟

ترجح لدى العامة أن المسلم لا يستغني عن معونة الأولياء، وأنه إذا ذهب إلى ربه من دونهم فالويل له!

فيستفيد المجتمع من هذا شيوع الشرك وضعف الصلة برب الأرض والسماء"

و اعوجاج فهمنا لأولى شروط الإسلام والتدبر فيها جعلنا أمة تداري هوانها بصور العبادات المفروضة، فهناك ألوف مزقت المعاصي صلتهم بالله شر ممزق، لأن الدين أخذ يتلاشى يوما بعد يوم حين أصبح التذكير به كلاما يتهامس به بعض الوعاظ في مواكب الموت، والحديث عن الآخرة والبعث والنشور وعذاب الموتى في القبور لغوا ومجونا!!

و لعلنا من قال الله فيهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِم هَٰذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾الأعراف 51

فينبغي أن نسارع إلى غربلة نفوسنا حتى ينفى خبثها، ونعيد صلتنا بديننا لأن الخطر اقترب، بل تمكن من صميم الإسلام وعقائده وديارة.

ولقد كرمنا بني آدم

سألت أحد زملائي مرة: بماذا كرم الله بني آدم؟ فأجابني: كرمّه بالعقل.

قلت: أوليس للشيطان عقل يظلك به عن سبيل الله!؟ فكيده لبني آدم يحتاج فوق العقل عقولا!!

و عقل الشيء أي فهمه وإدراكه على وجهه الصحيح.

فالعقل ليس ما كرم الله به بني آدم بل من ضمن ما كرمهم به، لأن جوهر ما منّ به الله تعالى على بني آدم هو الإرادة.

نعم، الإرادة التي أعطت لهذا الخلق حرية يفعل بها ويترك ما يشاء.

فخلق الله تعالى لخلق جديد وجعله خليفة له في الأرض صاحبته عدة أمور، لم تقتصر في أنه تعالى خلق الإنسان وسواه فعدّله في أي صورة ما شاء ركبه، بل ألهمه إما فجور أو تقوى الله جل في علاه.

إن الملائكة المخلوقة من نور، التي تسبّح له سبحانه بالغدو والآصال، خلقت على السمع والطاعة لا غير﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾التحريم 6

فحرية الاختيار منحها الله لبني آدم ميزة لهم دون غيرهم من خلقه.

و إن الله تعالى لم يميز في كتابه الكريم بين الرجل والمرأة إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ومراعاة المصلحة العامة للأمة والحفاظ على تماسك الأسرة واستقامة أحوالها بل ومنفعة للمرأة نفسها، وسيأتي شرح ذلك في موضع آخر، إلا أن أهم ما يذكر في هذا المقام أن الله جل وعلا بيّن لنا أهم وجه من أوجه المساواة بينهما أن قرر أن كلاهما من أصل واحد، وهذا في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء 1

فالمراد هنا بالنفس الواحدة هو آدم عليه السلام وزوجها أي حواء.

فقد سوّى الله تعالى بينهما في حرية الاختيار بين سبيل الجنان ورضا الرحمان وبين إتباع سبيل الشيطان، ومنه قوله تعالى﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَىٰ(123)وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ(124)﴾ طه

و قوله﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَ اتَّقَىٰ (5)وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7)وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَىٰ (8) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ(10)﴾ الليل

بل إنه وهو القاهر فوق عباده، المالك لهم ومتدبر أمورهم، لم يتدخل في إيماننا به من عدمه﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾الكهف29

فهل تتصورون معي أنه سيعطي إرادة الأنثى للذكر فقط لأنه ذكر!؟

هل يتصور عاقل متأمل، ورزين متدبر، أن إلها سمى نفسه بـ "العدل" سيأخذ من الأنثى ما كرّمها به (الإرادة) ويعطيها لكائن بشري مثلها، لم يكن ملاكا مُنزلا ولا نبيا مرسلا!؟

هل سيأخذها الله منها ويعطيها لأبيها كي يزوجها قسرا، أو أخ يبكيها قهرا، أو لزوج يضربها ظلما!؟

حاشى لله، فهذا لا يتسع في مملكته الإلهية، إنما هي عادات مجتمع ميز بنفسه بين الرجل والمرأة، واتخذ من الدين غطاء له لما له من مكانة وتقديس في قلوب المؤمنين به.

ولعلي هنا أستذكر حكاية لطيفة رواها أحد الأطباء النفسيين، قال:"أن امرأة كانت ذات يوم منشغلة في المطبخ بطهي السمك، فدخلت عليها ابنتها لترى أن أمها قد قطعت

رأس السمكة وذيلها، فسألت البنت أمها: لماذا تقطعين ذيل السمكة ورأسها؟! لترد الأم: هكذا تُطبخ.

فخرجت البنت وبقيت الأم تفكر: فعلا لماذا تطبخ بقطع الرأس والذيل؟!

فراحت الأم تسأل أمها نفس السؤال: لماذا علمتني طهي السمك بقطع الرأس والذيل؟! لتجيب الأم هي الأخرى: هكذا تطبخ.

فاستفردت الجدة بنفسها وقالت: فعلا لماذا تطبخ بقطع الرأس والذيل؟!

فذهبت تسأل أمها هي الأخرى ولحسن الحظ كانت حيّة، لماذا علمتني طهي السمك بقطع الرأس والذيل؟!

لتهز الجدة الكبرى رأسها في حنين إلى الماضي وقالت: ذكرتني بالأيام الخوالي عندما تزوجت أباك، وكان حاله فقيرا، فلم يكن بمقدورنا شراء كل لوازم المطبخ، فكنت أضطر لقطع رأس السمكة وذيلها كي تستوعب الصينية الصغيرة حجمها الكبير".

نعم، إن ما شاع من مسالك بشرية خطرة تجعل الناس يتواضعون على أعراف وتقاليد قد تكون حسنة أو لا تكون، ثم يرون في الوفاء لهذه الأعراف والتقاليد الخير والفضيلة مع

أن صلتها بالدين مقطوعة!

فتقاليد المسلمين للأسف في معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة، وقد نشأ عن ذلك أن المثقفات في عصرنا تجّهَمْنَ الدين الإسلامي كله، يحسبنه السبب في تجهيل المرأة وهضم مكانتها، وإنكار حقوقها المادية والأدبية، التي فطر الله تعالى المرأة عليها وعززها وأكدها الوحي الإلهي، فصوروا لها الإسلام سجنا لابد أن تخرج منه.

و قد لمحت في أخلاق بعض المتفيهقين عوجا، وفي أسلوبهم عنفا، عندما قالوا أن تعلم المرأة وحصولها على الشهادات وعدمه سواء!!

هذا جهل شنيع، ونسبة ذلك إلى الله تكذيب لما جاء في كتابه العزيز﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران18

فقد قرن الله تعالى العلماء رجالا ونساء بالملائكة في الشهادة بالوحدانية، وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت43

فرأوا أن العلم يقتصر على الرجال دون النساء!!

فتقاليد المجتمع وأعرافه الشائعة وراء هذا العوج الفكري،

الذي قضى بأن علم المرأة بالشؤون العامة تطفل مرفوض!

و ما زاد الأمر سفاهة هو أن قرروا أن ذلك من تعاليم الإسلام، فأصبح باسم الإسلام للرجل أن يفعل بالمرأة ما يريد، سواء كانت زوجة أو بنتا أو أختا!

فإذا رفضت المرأة ذلك كانت متمردة كافرة، بل أن الأسف كل الأسف أن نرى المرأة المسلمة اليوم تقبل على العلم اقتداءً بالمجتمع الغربي وليس امتثالا لأمر الله ورسوله!!

إن المرأة الجاهلة بتعاليم دينها من مصادره (القرآن والسنة) المغلفة على هذا النحو، كيف لها أن تمتثل لكل الممنوعات باسم الإسلام المفترى عليه؟!

فترى المسكينة إما تُمسخ شخصيتها في سبيل إرضاء الله فتصبح لا حول ولا قوة لها، وإما تتمرد على الإسلام كليا، فلا حجاب ولا صلاة ولا حج...و المغفلة ما علمت أنها تمردت على مجتمعٍ ساهم في تقهقر الأمة الإسلامية في هذه العصور الأخيرة، والسبب هو عجزه عن فهم موقف الإسلام الصحيح من المرأة، ولم تتمرد على الإسلام لأنها لم تعرفه أصلا!!

فعلا إن للمسلمين غرائب في فهم الدين أن ملّكوا بعضهم لبعض، ولا نجد في ذلك صحيحا من قرآن أو سنة، فها هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما نزل عليه قوله تعالى:"وَ

أَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْرَبِيـنَ "، ارتقـى الصفـا ونادى"يـا بنـي عبـد المطلـب أنقـذوا أنفسـكم مـن النـار، يـا صفيـة عمـة رسـول اللـه، يـا فاطمـة بنـت رسـول اللـه، أنقـذا نفسـيكما مـن النـار، فإنـي لا أغنـي عنكمـا مـن اللـه شـيئا..." نـادى باسـم ابنتـه وعمتـه جهـرا، أمـا المجتمـع فيـرى اسـمها عـورة كشـخصها لا يجـوز أن يعـرف، بـل أنهـا قـد تسـمى ب (الـدار)!!

لمَ هذا الاضطراب في فهم الدين وتطبيقه؟!

إن تصـور المسـلم أنـه مالـك لإرادة المـرأة المسـلمة متناسـيا أعظـم صفـة هـي مـن أسـمائه جـلّ وعلـى (العـدل) يشـبه اعتقـاد النصرانييـن بـأن الإلـه قـد عاقـب المسـيح ابنـه ليغفـر ذنـوب البشـر ويكفـر عـن خطاياهـم.

فكأنـك بذلـك تخبرنـي أنـه إذا سـطا أحد اللصـوص علـى بيتـك ليسـرقه، فسـتعاقب ابنـك حبـا منـك لهـذا اللـص وإعجابـا منـك بصنيعـه!

لـو كانـت إرادة المـرأة ناقصـة وتحتـاج لأن يملكهـا الرجـل ويتصـرف فيهـا لدُفنـت فـي قبـره، ولسُـئلت يـوم القيامـة باسـمه، لكـن لكمـال إرادة كل منهمـا واسـتقلالهما عـن الآخـر، سـتدفن لوحدهـا وتسـأل لوحدهـا.

و لقـد راق لـي مـا قرأتـه فـي كتـاب (عقيـدة المسـلم) للشـيخ

محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ تحت عنوان (إجابة ساخرة) حين قال:"سألني سائل هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر؟ فنظرت إليه في ضيق شديد، وقررت أن ألتوي معه في الإجابة كما التوى هو مع فطرته في هذا التساؤل، وقلت له: الإنسان نوعان: نوع يعيش في الشرق، ونوع يعيش في الغرب، والأول مسيّر والآخر مخيّر!

ففغر فاه عن ابتسامة هي بالضبط نصف تثاؤب الكسالى والعجزة والثرثارين الذين ينتشرون في بلادنا.

ثم قال: ما هذا الكلام إنني أسألك: هل للإنسان إرادة حرة وقدرة مستقلة يفعل بهما ما يفعل ويترك ما يترك، أم هو مجبور؟

فقلت له: قد أجبتك، الإنسان في الغرب مستقل وفي الشرق مستعمر.

هنالك له إرادة وقدرة، وهنا لا شيء له، فضحك أحد الظرفاء وقال: هذه إجابة سياسية.

فقلت: وإنها لدينية كذلك.

يا رجل إن القوم في الغرب شعروا بأن لهم عقولا ففكروا بها حتى كشفوا المساتير من بدائع الكون، وشعروا أن لهم إرادة فصمموا بها حتى التقت في أيديهم مصائر الأمم وأزمّة

السياسات.

و شعروا بأن لهم قدرة فجابوا المشارق والمغارب، وصنعوا الروائع والعجائب.

أما نحن، فهذا رجل من ألوف الألوف التي تزحم البلاد يأتي ليستفتي في هذه المعضلة التي غاب عنه حلها.

أّله حقا عقل حر يستطيع أن يفكر به؟

أله إرادة يستطيع أن يعزم بها؟

أله قوة يستطيع أن يتحرك بها؟

و إلى أن نثبت نحن ذلك، سوف يبدأ فيفكر ثم يعزم ثم يعمل.

أما الآن فهو فعلا مسيَّر من ذلك الرجل المخيَّر في الغرب.

ما أبعد البون بين الشخصين!

الرجل في الغرب ألقي به في تيار الحياة، فعلم أن له أعضاء يستطيع أن يعوم بها فظل يسبح مع التيار تارة وضده تارة أخرى حتى وصل الشاطئ!

أما هنا، فلما ألقي بالرجل في معترك الأمواج بدأ يسأل نفسه: هل أنا حي حقا؟ أم أنا جثة هامدة؟

أو بتعبير المتفيهقين: هل أنا حر أم أعضائي مقيدة؟

و لكن التيار الجارف لا ينتظر نتائج هذه السفسطة، فلا

يلبث أن يطويه اليم مع الهالكين.

و ليس يغني في عزائه قول الشاعر السفيه:

ألقاه اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

اعمل أيها الرجل ولا تقل: هل أنا مسيَّر أم مخيَّر؟

و استغل المواهب التي أتاك الله، واشعر بأن لك في الحياة حقوقا وعليك للحياة واجبات.

و كفى كذبا على الدين والدنيا! ".

و أختم هذا العنوان بالقول أن الجهال هم الذين يقولون في الإسلام بغير علم، ويرجحون تقاليد آبائهم على تقاليد الإسلام.

واضربوهن

إن ما أصاب المسلمين من نكبات، هو عندما فهموا دينهم على غير نحوه وزعموا أن بعض التصرفات المردودة عليهم نصّ الدين عليها معرضين عن أخذ الحكمة حيثما كانت، وللفائدة حيثما وجدت ألا ساء ما يصنعون.

فمن أهم المسائل التي كما يقول المثل الشعبي"همّ يضحك وهمّ يبكي" أهز رأسي عجبا فيها هي مسألة ضرب المرأة!!، والنحو الذي فهم عليه المسلمون هذه

الآية﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حافظات لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ النساء34

إن ما كان وما هو كائن من ضرب الزوج لزوجته، والأخ لأخته دون حساب أو عقاب، جعلني أطرح سؤالا: هل فعلا هذا هو الدين الذي استبشرت به البشرية؟!

فقط ما يتداول جملة واحدة"الرجال قوامون على النساء "!!

هذه الآية التي استغلها أصحاب الفكر المنكسر والجهل

البليغ في إباحة تصرفاتهم الضالة عن سبيل الله، وتصوير الإسلام في غير صورته!!

بل إنني أقف حائرة كل الحيرة عند تلك المرأة المعنفة نفسيا وبدنيا، عندما أسألها: لماذا تتحملين حياة كهذه!؟

لأتفاجأ بها لا تعطيني أسبابا إن نسبت تنسب لشخصها ولذاتها، فهي لا تخبرني ـ مثلا ـ أنه ليس لديها مكان تذهب إليه، أو عملا تعتمد عليه، بل لم تعطيني سببا وتقول: أحببته لذا أنا أتحمل ذلك منه...!!

بل تلتوي في إجابتها وتضرب الفرض المعقول عرض الحائط، وتقول لي: الله أمرني بالصبر والرسول أمرني بالطاعة، وهذا ابتلاء...و"الرجال قوامون على النساء" !؟

فالطامة الكبرى ليست في رجل متسلط يظن القوامة لونا من الفرعونية أو الإنفراد بالسلطة فلا تفاهم ولا شورى، ليست في رجل لا يعرف حتى يوم ميلاد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ناهيك على أن يلِم بمعرفة كيفية تعامله مع المرأة فما بالكم بزوجاته!!

لم يثبت عليه أبدا صلوات ربي وسلامه عليه ـ أنه قد رفع صوته على المرأة ناهيك عن رفع يده الشريفة عليها!!

بل إن الطامة في أن تجد المسلمة نفسها ترى الخطأ صوابا،

والظلم حقا، وذلها صبرا، وعبوديتها للرجل طاعة، والسكوت عن الإهانة واجبا، وضربه لها قوامة...

لم تكن للمرأة مكانة تذكر قبل الإسلام بل كانت كمّا مهملا، لا ينظر إليها إلا لتدبير منزلي، أو لدوام النسل البشري، متاعا يملكه الرجل، وسلعة له حق التصرف فيها كما يريد، ويملك من أمرها كل شيء حتى حق الحياة.

فلما جاء الإسلام غير ذلك كله، والمتأمل فيه يرى مدى الحفاوة التي خص الإسلام بهما المرأة أم الرجل وابنته وزوجته وأخته.

فلو أردنا أن نستشهد من القرآن ما يثبت ذلك لأفضنا من الحديث الطويل فيه، ولكن أحب الآيات إلى قلبي في هذا قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون8

ما أشد إعجابي بهذه الآية وسكوني إليها، ففيها من تكريم الله للمؤمنين رجالا ونساء ما ينسف كل فكرة تدعي تمييز الله وتفضيله للرجل على المرأة نسفا.

و لم تخلوا سيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ذكر المرأة أينما حل إلا وأوصى بالرأفة بها، والعطف عليها، والإحسان إليها...

فهل تتصورين أن إلهها بعدله سبحانه ورحمته، ونبيا كمحمد ورأفته وصف النساء بالقوارير، يحثانكِ على تحمل الذل والضرب؟!

كلاّ ورب الكعبة، حاشى لله ورسوله أن تباح هذه الأمور بين المسلمين.

و إن الأَمرَّ من ذلك كله أن مثل هذا السلوك لا يقتصر في كونه عادة مجتمع فتبقى فيه (زيتنا في دقيقنا) يدّعي الإسلام فقط، فلم تعلم هذه المرأة بتفكيرها القاصر، والرجل بصنيعه (ضربها) أنهما مبرر لأناس جندوا أقلامهم للطعن في هذا الدين وتحريف مقاصده، فنرى الكثير من الألسنة الحاقدة على الإسلام المتطاولة عليه يبسطون أقلامهم وأفواههم وجهودهم العِظام ليروجوا لأفكارهم المغلوطة عن الإسلام، ودليلهم هو هذه النماذج من المسلمين!!

فعندما نجد المرأة المسلمة مستسلمة لهذه الأخطاء، والرجل المسلم يتمادى في تشويه دينه بمثل هذه التصرفات، فلا لوم على الغرب إذا ما قالوا أن الإسلام دين أهان المرأة أن أباح ضربها!!

لكن ما لم يعلمه هؤلاء وأولئك أن السنة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ مبيِّنة للقرآن الكريم،

ومفصِّلة لمجمله، موضحة لمُبهمه، وضعت شروطا لضرب المرأة المسلمة لكن بعد الوعظ والهجر في المضجع ﴿اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ الأحزاب34

و الوعظ والهجر يكون لمدة معقولة إن انقضت كان الضرب آخر خيار وآخر وسيلة.

و من شروط ضرب المرأة أن لا تضرب في وجهها، ولا يسيل دمها، ولا يترك فيها أثرا، فلا يخدش لحما، ولا يكسر عظما، وأن يكون القصد منه التأديب لا التعذيب (ضرب غير مبرح) بربكم هل هذا ضرب؟!

إنني لأرى ذلك أشبه بالتوظيف في بلداننا العربية، فإعلان المسؤولين عن مسابقة التوظيف يعني اعترافا منهم بحقك في تقلد منصب وظيفي لكن عندما يعلن عن منصب واحد لآلاف المرشحين فهو يدعوك بطريقة غير مباشرة للتراجع عن اجتياز المسابقة.

كذلك ضرب المرأة في الإسلام، فإباحته يعني اعتراف بل وأخذ بسيكولوجية الرجل من انفعال وغضب والرغبة في ضربها، لكن عند وضع شروط كهذه لذلك فهو يدعوك

للتراجع عن التفكير في الأمر حتى وإن كان بعضهن بحاجته بل إن بعض العلماء قالوا أن ضربها يكون بعود سواك!!

فكان في عداد ما ينبغي الاطمئنان إليه والإيمان به، هو عدل الله عز وجل في خلقه، فإن قبلتِ بالذل والإهانة فهذا راجع إليكِ، ربما لجهلٍ منكِ بدينكِ، أو لتهدّم شخصية فيكِ وجب عليكِ بناؤها.

أما أن تبرري ذلك بالدين فأنتِ بذلك تفترين على الله ورسوله الكذب، وتعينين أعداء الدين عليه

و دعيني أسوق لكِ حدثا له من الروعة ما يوجب ذكره، هو ما قاله محمد سعيد طنطاوي (كتاب المرأة في الإسلام) أن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا(29)﴾ الأحزاب

حسب ما ذكر المفسرون في سبب نزول الآيتين (ما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله) قال:"دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأُذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ـ صلى الله عليه

وسلم ـ جالسا حوله نساؤه.

فقال عمر: والله لأقولن شيئا يضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة (زوجة عمر) سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها...

فضحك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال:"هن حولي يسألنني النفقة "

فقام أبو بكر إلى ابنته عائشة يضربها، وقام عمر إلى ابنته حفصة ليضربها، وكلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده!؟

فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئا ليس عنده، ثم نزلت الآيتين.

فبدأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ بعائشة فقال لها:"يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرا، وأحب ألا تتعجلي فيه حتى تستشيري أبويكِ "

قالت: وما هو يا رسول الله!؟

فتلا عليها الآيتين، فقالت: "أَفيكَ أستشير أبوي يا رسول الله، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواجه مثلها".

"أَفيكَ أستشير أبويَ يا رسول اللّه"!!

يـا لروعـة ألفاظهـا، وعذوبـة كلماتهـا، التـي تكشـف عـن حـب هـذه المـرأة لزوجهـا، وتُجلـي عِظـم خلـق بعلهـا!!

فـي مثـل هـذه الظـروف وجـب أن تصبـري، وفـي رجـل بمثـل خلـق النبـي تشـبثي...

غيـر هـذا فـإن واجـب المـرأة المسـلمة أن ترمـق هـذه التصرفـات الخارجـة عـن ديـن اللـه باسـتنكار، وتبـذل جهدهـا فـي تعليـم ذويهـا طريـق الحـق والصـواب.

فالإسـلام بـريء ممـا يرتكبـه المجتمـع بحقـكِ بـراءة الذئـب مـن يوسـف عليـه السـلام.

وهل تزني الحرّة !؟

في قراءتي لسيرة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، شدّني موقف له من الروعة والرفعة ما يفرح القلب وتنشرح له الصدور.

و لنستهل الموقف معا بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الممتحنة12

نزلت هذه الآية كما يقول علماء التفسير في مبايعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء على الإسلام.

فكان مما راق لي هو ما دار بين هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من محاورة رائعة، فلما قرأ ـ عليه الصلاة والسلام ـ "وَ لاَ يَسْرِقْنَ "، قالت: والله إني لأصيب الشيء القليل من مال أبي سفيان وما أدري أيَحِل ذلك أم لا؟ فقال: ما أصبتِ من شيء فيما مضى فهو حلال لكِ

فلما قرأ صلى الله عليه وسلم ـ"وَ لاَ يَزْنِينَ "، قالت: يا رسول الله أَوَتَزْني الحُرَّة؟!!

إن في سؤالها هذا المُجيب لنفسه الدال على الأنفة والعفة الجزم التام بأن هذا الفعل الشنيع (الزنا) لا يكون من امرأة عاهدت فطرتها على البقاء فيها، حتى لو كانت في الجاهلية الأولى!

ففي الجاهلية شربوا كؤوس الشهوات حتى الثمالة ولم يتركوا بابا للذة إلا افتتحوه دون تهيّب أو حياء، إلا أن الفطرة السليمة قادت هند بنت عتبة إلى النظر إلى هذا الفعل الوضيع نظرة مقت وترفع، لا يُتصور أن يكون في امرأة اعتزّت بنفسها صائنة لعرضها فيها من الأَنَفة والشموخ ما فُقد في غيرها...

فالمرأة عامة والمسلمة خاصة يجب أن تتميّز عن غيرها بسلوكها الذي يوضح ملامح شخصيتها المستقلة، ومن آدابها وأخلاقها التي تتخلق بها، فهي متزينة بالوقار والعفة والخلق، تحيا على تمسكها بدينها، والسير باستقامة في طريق العقيدة الصحيحة التي تؤمن بها.

فهي بشخصيتها المتميزة لا تحيا تابعة لغيرها، ولا ظلا لسواها من النساء أيا كانت...

إن عبارة هند جعلت قلمي يقف لها وقفة إعجاب وتأمل، لم أجد في جيب كلماتي ما يعادلها عذوبة لفظ، ودقة أسلوب، وروعة بيان، ناهيك على أن أكتب الأفضل منها!!

خير الكلام ما قل ودل...وهل تزني الحرة!!؟

لا إكراه في الديــن

إن التديـن الفاسـد قـد يبعـد الإنسـان عـن فطرتـه مثـل أو أبعـد ممـا تفعلـه الجاهليـة، ويكـون أضـرى علـى صاحبـه مـن أي عـدو آخـر، وإن هـذا الأمـر لـه مـن الخطـورة مـا يوجـب تداركـه بصـدق الفهـم ولطـف العـلاج.

و نحـن معشـر المسـلمين للأسـف نفهـم قولـه تعالـى ﴿لَا إِكْـرَاهَ فِـي الدِّينِ﴾البقـرة256، علـى نحـوه الضيـق فقـط، فترسـخ فـي أذهاننـا أن المقصـد مـن هـذه الآيـة هـو أنـه لا يجـوز للمسـلم أن يحمـل غيـر المسـلم علـى الإسـلام عنـوةً، مجمـلا وتفصيـلا!!

إلا أن هـذه الآيـة تمتـد لتشـمل المسـلم نفسـه، فـلا يصـح إكـراه المسـلم نفسـه علـى تعاليـم الإسـلام دون إدراكهـا واسـتيعابها، حتـى يقبـل عليهـا محبـا لهـا مسـلما خاضعـا لربـه فـي إتباعهـا بـكل حـب وامتنـان للـه جـل فـي عـلاه.

لا يختلـف اثنـان أن النفـس البشـرية تقـدس الحريـة، كيـف لا وهـي مـا مـنّ بـه اللـه تعالـى علـى البشـر دون غيرهـم!؟

فهـذه الحريـة إذا مـا سـلبت تحـت ظـروف الإكـراه علـى تعاليـم الديـن فقـدت هـذه الأخيـرة قيمتهـا وقدسـيتها لـدى الإنسـان، لذلـك سـنرى إمـا تمـردا كليـا عليهـا، ورفضـا قاطعـا واسـتهجانا لهـا، وإمـا

نفاقا ورياءً في تطبيقها.

و هل انتفخ الإعراض عن قبول أمر الله، والهزأ بالفرائض التي أوجبها، والفخر بالمحرمات التي زجر عنها، إلا بين مؤمنين من هذا الطراز المهين!؟

هل رفع النفاق رايته وفرض شارته، إلا في ميدان لقي فيه الإيمان الزائف مساحة تحتضنه!؟

و هل يمكن أن يسمى ذلك خضوعا للإسلام!؟

عندما جاء القرآن ليأخذ بأيدي الناس إلى الحق لم يكلّفهم عسرا بل ليحيوا حياة طيبة في دنياهم، ويظفروا معها براحة البال، وسعادة الحال، وبالأمان والاطمئنان...

أما في الآخرة فسيجزيهم الله جزاءً أكرم وأفضل لما عملوا من صالحات في الدنيا﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾النحل97

و سنقف عند أمرين مهمين في هذا المقام على سبيل المثال

◊ الحجاب

اختلفت الآراء حول حجاب المرأة المسلمة، بين من يراه

عائقا أمام إبراز جمالها وكبت حريتها، وبين من يراه رمزا يدل على تخلف من ترتديه...

بيد أن المهم في رأيي هو نظرة من تضع الحجاب لتتحجب فقط !!

فنجد من ارتدته من منطلق أنه عادة في المجتمع بل ربما استخدمت كلمة الفرض في حديثها عنه ولم تفهمها، ونجد أخرى ارتدته عنوةً مكرهة عليه.

فالأولى تكتفي بوضع طرحة على الرأس تغطي شعرها بغض الطرف عما ترتديه!

أما عن سلوكها وأخلاقها فهي تنافي تماما ما يجب على المرأة المسلمة التحلي به، فرأت في وضع ما تسميه حجابا طرحة تغطي رأسها فيه الكفاية والغناء!!

إن المغزى الحقيقي من الحجاب ليس ما تحسبه الأبصار الكليلة والهمم القاصرة أن يغطى الرأس وتكشف الأذن والرقبة فالجسم تحت مسمى الموضة!!

إن العلماء في المسائل التي فصل فيها القرآن والسنة لم يختلفوا قطعا على الأخذ بها، فإذا ما جاء اجتهاد في مسألة معينة لم يبالوا لاختلاف آرائهم شرط أن لا تناقض الأصل.

فلست في مقام أغلب فيه الرأي القائل بأنه يجب تغطية

الوجه والكفين لأن حسن المرأة في وجهها، ولا أن أسير على خطى من قالوا بعكس ذلك، هذه مسألة لها أهلها...

أما أن تكشف الأذن والرقبة و...فهذا ما لا أجد له مكانا لا في الرأي الأول ولا في الثاني !

فإذا كان جواز السفر لإبراز الهوية، فإن الحجاب إظهار للحزب والشخصية.

فليس بمقدور المرأة المسلمة أن توصل للآخرين رسالة مفادها: أنا من قوم لا يشربون خمرا، ولا يُسيئون جوارا، ولا يأكلون لحم خنزير ولا ميتة، ولا يعبدون خشبا ولا حجارة!!

ليس بإمكانها إخبار الجميع بأنها من أمة لا مجال لحديث اللغو بينهم، ولا غش في معاملاتهم، يؤدون أماناتهم وو وو...

إن مختصر ذلك كله في ارتداء الحجاب، ارتداؤه يعني أنها اختارت حزب الله ـ ألا إن حزب الله هم المفلحون ـ

لكن كيف لهم أن يدركوا ذلك إذا كانت هي نفسها لا تعرف الغرض الحقيقي منه؟

أما الثانية فقد أكرهت عليه نتيجة ضغط أسري من أب أو أم أو أخ...

فتراها لا تدخر جهدا في التخلص منه عند أول فرصة لها لذلك، ربما في شاطئ أو في بلد أجنبي أو زفاف...

و كأنـه حبـل يلتـف علـى عنقهـا يأخـذ منهـا القـدرة علـى التنفـس!

بيـد أننـي لا أسـتغرب لذلـك فهـذا مـا يحـدث عندمـا تمـارس الطاعـة للـه بمفهـوم الإكـراه!

إن مـا يجـب الالتفـات لـه وتعلمـه هـو مـا يُعـرف" بفقـه الأولويـات "، وأول مـن أصّـل هـذا العلـم هـو سـيدنا محمـد ـ صلـى اللـه عليـه وسـلم ـ فـي مواقـف كثيـرة مـن سـيرته.

و عليـه يجـب علـى المـرأة المسـلمة أن تعـرف ربهـا معرفـة صحيحـة تفتـح لهـا منافـذ تفضـي بهـا إلـى سـاحات رحيبـة وآفـاق ممتـدة تتشـرب فيهـا حقيقـة الإسـلام الخالـص كلمـا سـجدت لبارئهـا وبـادرت إلـى مرضاتـه وأعرضـت عـن نواهيـه، لأنهـا مـا إن تسـتطعم طعـم الحجـاب الحقيقـي وخامـرت بشاشـته قلبهـا، فليـس مـن السـهل عليهـا تركـه والتجـرد منـه.

عليهـا معرفـة الإسـلام مـن مصـادره ـ القـرآن والسـنة ـ لا مـن مجتمـع لا يعـرف حتـى معنـى كلمـة التوحيـد، ودون أن تتـرك مجـالا للغيـر فـي إضافـة واختـلاق مـا مـن شـأنه الخـروج بهـا عـن الطريـق الصحيـح.

أيتهـا القارئـة، اجعلـي حـب اللـه وتقـواه مصباحـا بيـن يديـك، وسـيري فـي نـوره بيـن شـتى السـور، فلـن تجـدي فـي دينـه قلقـا

أو اضطرابا وإنما القلق والاضطراب في عقول الحمقى وقلوب الغافلين.

◊ الصلاة

الصلاة عماد الدين.

الصلاة أعظم أركان الإسلام.

الصلاة أول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة.

جمل حفظناها من الكتب المدرسية، فإذا حاولت البحث عنها في بطون الواقع وجدتها تختصر بقولهم: جهنم مصير من لا يصلي...

ضربونا كي نصلي امتثالا لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ "علّموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر"!

لم يعلمونا في السابعة وسارعوا إلى ضربنا في العاشرة!

بل إن تعليمهم يقتصر على تلقين التشهد وكيفية الركوع والسجود إن كانت صحيحة والإقامة وغيرها.

بيد أنهم لم يعلمونا لـــمن نصلي؟!

من فرض الصلاة!؟

عندما نقوم للصلاة ونقف فيها، نحن في حضرة من!؟

من ينادي علينا كل يوم بحي على الصلاة، حي على

الفـلاح؟!

إن جهـل هـذه الأمـور هـو مـا جعـل الإنسـان لا يستشـعر فـي قـرارة نفسـه عظمـة الخالـق المتعـال، أو يختلـج فـي بدنـه عـرق مـن الرغبـة والرهبـة نحـو مـن خلقـه وسـوّاه، وألهمـه فجـوره وتقـواه.

هـذه المسـائل ينبغـي التـدرج فـي فهمهـا، فهاهـو عمـر بـن عبـد العزيـز لمـا تولـى الخلافـة جلـس يبكـي بـكاء مريـرا، لأنـه يعـرف قـدر المسـؤولية وثقـل الأمانـة...

فدخـل عليـه ابنـه وكان شـابا فقـال له:"يـا أبـتِ جئـت لتنـام؟! قـم يـا أبـتِ فـرُد المظالـم إلـى أهلهـا، فـوالله لا أبالـي إن غلـت القـدور بـي وبـك فـي اللـه ".

فنظـر عمـر إلـى ابنـه وهـو يقـول:"نِعـم العـون أنـت يـا بُنـي علـى طاعـة اللـه ".

ثـم جلـس يعلّـم ابنـه وهـو يقـول: "يـا بُنـي إن اللـه ذمّ الخمـر فـي القـرآن مرتيـن وحرمهـا فـي الثالثـة، وأنـا أخشـى أن أحمـل النـاس علـى الحـق جملـة واحـدة فيدعـوا الحـق جملـة واحـدة".

هكـذا يجـب تعليـم الأجيـال وبنـاء الأمـم، إن الإكـراه علـى الصـلاة والحجـاب جـاء بعكـس مرادهما.

فلابـد علـى المسـلم أن يعـرف ربـه ويتعمـق فـي صفاتـه ويستشـعر وجـوده فـي آياتـه فـأن يعـرف المسـلم اللـه تعالـى حـق

المعرفة سيجعله يعرف مكانة ما أنزله.

يقول الشيخ ابن القيم ـ رحمه الله ـ "من عرف ربّه عرف نفسه "

فمن عرف ربه بالعلم التام، عرف نفسه بالجهل التام.

و من عرفه بالعز التام، عرف نفسه بالذل التام.

و من عرفه بالغنى التام، عرف نفسه بالفقر التام.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ(16) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ(17)﴾ فاطر

من الضروري أن يعرف المسلم ربه معرفة بعقله دون أن يكون مبتور الصلة بفؤاده، فالعقول وما يتردد فيها من أفكار والقلوب وما يتجدد فيها من مشاعر تقود كل صادق مع نفسه إلى الله جل وعلا.

عسير بل مستحيل أن يعرف المرء إلها هذا شأنه وهذه صفاته ويصد عن سبيله ويعرض عن كتابه، فلو صحت تلك المعرفة به ـ سبحانه ـ لامتثلنا لأوامره أمرا أمرا، واجتنبنا نواهيه نهيا نهيا، ووقفنا عند حدوده حدا حدا، ونحن في غاية الحب لله، وفي غاية الرضا عن الله، قال جل في علاه ﴿وَمَاكَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيَـرَةُ مِـنْ أَمْرِهِمْوَمَـنْ يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَـلَالًا مُبِينًـا﴾ الأحـزاب36

إذا آمـن الإنسـان بربـه، وأيقـن بيـوم يبعـث فيـه لا يغنـي عنـه مال ولا بنـون، وصـدق بمـا جـاء بـه المرسـلون، دفعـه ذلـك لا محالـة إلـى الاسـتعداد للقائه والسـعي لاسـترضائه والاسـتقامة على صراطه.

التمدن والتحضر

إن تقهقر الأمة الإسلامية في العصور الأخيرة يعود إلى القصور العلمي الذي بلغ مرتبة الجهل بالإسلام، وهذا العجز والقصور كان وراء انتشار تقاليد لا تسر ومناهج لا تنفع بل تضر تحت مسمى" التمدن والتحضر "

أين الإسلام وتعاليمه الرجعية من العالم المتطور اليوم؟

هل بقي هناك ما يدعو ويلزم الرجل أن لا يصافح امرأة لا تحل له في القرن الواحد والعشرين!؟

رجعية وتخلف، بل تعصب أن تمنع زوجتك من الاختلاء بصديقك وتبادل أطراف الحديث!؟

أين هذا الدين وأفكاره التي تعود بمعتنقيه إلى العصر الحجري من عالم اليوم الذي أصبح فيه الاختلاط تفتحا وتحضرا فكريا؟!

يجب أن ننصف الإسلام، فنعلم أنه دين أعلى قدر الإنسان ورفع شأن الحياة بما يصلح بال الأمة ويزكي أحوالها لا ما يدّعيه أصحاب الألفاظ الجوفاء، أن في ظله تتأخر الحياة وتذبل ملكات الفكر والإبداع والابتكار...

الحقيقة أن العقول السليمة تتلاقى على الحق، وكلما زادت علما كان تلاقيها على الحق أيسر وأقرب.

فإن أرسل المرء نظراته الفاحصة يستقصي بها أنباء الأمم السابقة فسيرجع بعد جولة بحقيقة واحدة، أن اليوم شبيه بالأمس البعيد قبل بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أن نقطة التلاقي بين الأمس واليوم هو التبذل والانحطاط والتدهور الأخلاقي والاجتماعي...

إن الجاهليات القديمة لبلاد فارس والرومان واليونان وغيرهم كانت تتخبط في ظلام دامس من الأفكار والتشدق السخيف، أما الرومان فقد كانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية، تعتمد على قوتها العسكرية وطموحها الاستعماري في مغامرة عجيبة من أجل تطويرها للمسيحية والتلاعب بها حسبما توحي به مطامعها.

و كانت مكانة المرأة فيها منحطة بطبيعتها، لا حقوق لها كما هو مقرر للرجال

و لم تكن في اليونان أكرم قدرا أو أرفع شأنا، فقد قال الشاعر اليوناني (سيموندس):"جعل الله في الخلق طبائع النساء المختلفة، فجاءت إحداهن كأنما أخرجها الله من خنزير، وأخرى كأنما أخرجها الله من ثعلبة ماكرة، وثالثة كأنها الكلبة

حركة ونشاطا، فهي تحوس أركان المكان فاحصة متطلعة فإن لم تجد شيئا أطلقت لسانها بالسوء "!!!

و أفلاطون جعل النساء آخر طبقات المجتمع ولم يكن الرجال في معزل عن هذه السخافات، فقد نقل الإمام الغزالي عن ماجد نصر الدين ما كتبه في صحيفة "اللواء" الأردنية، أن الفلاسفة المثقفون ينهلون من تراث موبوء بالشذوذ، وقد عُرف سقراط بهذا الداء ومتهم بإفساد الشباب، بل وزعم أرسطو أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيين!!

و قد جرت على لسانه عبارات لا نجرؤ على نقلها، هؤلاء من نمجدهم!!

و في بلاد فارس نجد العديد من المعتقدات وحقول الوساوس الدينية، فقد كان فيها الزرادشتية التي اعتنقها ذوو السلطة الحاكمون، وكان معتقدهم فيها تفضيل زواج الرجل بأمه أو ابنته أو أخته...

و كان فيها المزدكية التي قامت على حل النساء وإباحة الأموال وجعل الناس شركة فيها كما يتشاركون الهواء، وقد لقيت هذه الدعوة استجابة لدى أصحاب الأهواء والرعونات.

و قد ساهمت الهند والصين مع جيرانها في التدهور الأخلاقي فلم تكن أقل حالا منها، وما يجب معرفته ـ كما قال

د.البوطي ـ أن الحضارة والمدنية اللتان تقومان على أساس من القيم المادية وحدها دون أن يكون هناك مثل أعلى يقود هذه الحضارة والمدنية في سبيلهما الصحيح، هو القدر المشترك الذي أوقع هذه الأمم فيما وقعت فيه من انحلال واضطراب وشقاء.

و لما كانت القوانين الأوروبية لها نسب وثيق بالرومان الأوائل، فإن القانون الانجليزي وحتى القرن التاسع عشر كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، ولم يتدخل القانون إلا في تقدير السعر الذي تباع به!!!

هذه المدنية في صورتها الفاضلة، فكيف لو كانت نازلة!؟

فما هو الفرق بين تحضر ورقي هذه الأمم الآفلة وبين أمم القرن الواحد والعشرين!؟

إن الحضارة الغربية الحديثة ورثت عن اليونان والرومان مبادئ وضيعة مخزية ومع ذلك فهي تتغافل بخبث عن عللها، وتتناسى الدنس الذي تعيش فيه بكرة وعشية.

لكن لا بأس من سوق بعض الحقائق التي تفتق للذهن الغافل منافذ يبصر بها حقيقة التحضر في القرن الواحد والعشرين!!

◊ الاستغلال الجنسي

من منظور التحضر وباسمه يحق للرجل استغلال المرأة متى ما أراد وكيفما أراد دون عقد رسمي يضمن لها حقوقها، فإذا انتهت العلاقة بالحمل تتحمل المرأة مسؤولية ذلك وحدها فتصبح في مفترق طرق بين الاحتفاظ به أو إجهاضه.

فقد كشفت دائرة الإحصاءات الأمريكية أن 10 مليون أسرة في أمريكا تعيلها الأم فقط، وحسب المراكز الأمريكية الحكومية للسيطرة على الأمراض فإن الإجهاض يكون بمعدل أكثر من مليون طفل سنويا، فمن 1973 إلى 2002 فإن 42 مليون جنين قتلوا بالإجهاض في أمريكا وحدها!!

◊ الخيانات الزوجية

إن المجتمع اليوم الشرقي والغربي، أضحى يركض وراء سرابٍ حين ألبسوا الخيانة في أبشع صورها اسم الحب!!

فأصبحت الزوجة في بلاد المسلمين (بعدما كنا نسمع هذا في الغرب فقط) لا تصون دينها ولا عرضها، ولا تحفظ كرامة لها ولا لأهلها، فتقع في علاقات لها من الخزي والدناءة ما يجعل النفس تشمئز من الخوض في أسبابها، فتدعي أن خيانة الزوج لها دافع لذلك!

أي خبط تقع فيه هذه الساذجة نتيجة هذا السبب السخيف؟!

إن سبب ذلك هو النظر والمصافحة، والخوض فيما لا يجب الخوض فيه من أحاديث، هي السبيل إلى ذلك كلّه، أمور كلما استهنّا بها كانت مجالا ومسلكا لأمور أعظم.

كشفت المراكز الحكومية للسيطرة على الأمراض أن متوسط النساء اللاتي يقيم الرجل الأمريكي علاقات معهن هو سبع نساء، بل إن 29% من الرجال أقاموا علاقات مع 15 امرأة !!

◊ العنف الأسري

إن نسبة 40 إلى 50% من النساء المقتولات في أمريكا يكون إما زوج أو صديق

و بحسب وزارة العدل الأمريكية فإن1320 امرأة تقتل سنويا، أي بمعدل 4 نساء يوميا، والسبب هو الخمور والمسكرات التي زجر الإسلام عنها.

◊ الأمراض الجنسية

إن الاختلاط الذي يعرض المرأة للتحرش والابتزاز والإذلال، كان نتيجته علاقات غير مضبوطة خلفت أكثر من 5 مليون شخص في أمريكا مصابون بأمراض جنسية لا شفاء منها.

في عصرٍ يؤمن بالعلم والمادة والواقع لا يمكن لعاقل إنكار هذه الحقائق

إن صانع الهاتف في صنعه وتركيب أجزائه يراعي استخدام أدوات عالية الجودة ودقة في العمل وإحسان فيه، دون أن يلتفت إلى الشخص الذي سيشتريه أو يمتلكه!

هل هو هادئ يحافظ عليه؟ أم عصبي يحطمه عند أول نزعة غضب له؟

و لله المثل الأعلى في ذلك

فلما خلق الرجل والمرأة، هو أعلم ـ سبحانه ـ بتركيبة كليهما وحريص على سلامتهما، لذا حرم كل ما من شأنه تحطيم العلاقات الاجتماعية والأسرية.

و لا يمكن لعاقل متدبر أن ينكر أن استباحة ما حرمه الإسلام هو السبب في ذلك كله، إلا من سفه نفسه وركب رأسه وأغمض عينيه عما حوله، وجعل أصابعه في أذنيه واستغشى ثيابه، وأصرّ واستكبر استكبارا !!

بل إن ما نأسف له أن المجتمع الإسلامي أخذ من هذه الحضارات أسوء ما فيها وأعرض عن أخذ أفضل ما فيها !!

فترى شبابنا يتبنون مفاهيم الجاهليات الأولى ويحيون في نطاقها!

و المـرأة همهـا أن تقلـد الغـرب فـي الثـوب الرشـيق والمنظـر الأنيـق!

أمـا فـي غـزو الفضـاء واكتشـاف الـذرة ودراسـة النفـوس والآفـاق، فـإن الأمـر لا يعنينـا ولا يسـتحق الاكتـراث بـه ؟!

لماذا لا ننشغل بخدمة المثل العليا بهذه القدرة؟

كـم مـن أعـراض هُتكـت وحرمات اسـتبيحت باسـم هـذا التحضر المزعوم!؟

الرجال قوامون على النساء، وللذكر مثل حظ الأنثيين

لقد تدخل حب الرئاسة ومكر السياسة وعبث الكلام في تحريف الكثير من تعاليم الإسلام!

فأصبحنا نرى الشعارات والهتافات المرفوعة المنادية بالمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، والافتراء على الإسلام بأنه بخس حق المرأة فيه، ذلك بأن جعل للرجل حظ امرأتين!!

و أصبحنا نطالب بتغيير شرع الله، كما لو أنه ملابس صيف لا تناسب الشتاء!!

فلو وقفت امرأتين مطلقتين أمام القاضي، وللأولى أربع بنات وللثانية بنت واحدة، وحدث أن حكم القاضي بنفس النفقة لكلتيهما لاستهجنَّا ذلك ولقلنا بأنه ليس بالعدل!

كيف للقاضي أن يحكم بالنفقة نفسها للطليقتين وتكاليف الأولى أكثر من الثانية؟ هذا ليس عدلا!!

إن ما طبقه القاضي مساواة وليس عدل، ذلك أن العدل يكون بمراعاة ظروف كلتيهما والحكم بنفقة الأولى أكثر من الثانية.

للناس في أحوالهم عجبُ!

فهم يقبلون بأن يميز القاضي بين الحالتين ويتجاوز المساواة (الطلاق) إلى العدل، ويرفضون ذلك في القرآن!؟

إن أهم المبادئ التي قامت عليها الشريعة الإسلامية هي المساواة بين الناس ذكور وإناث في تحمل المسؤولية، والكرامة الإنسانية، والعقوبة على المعصية، ونيل الحسنات، ومنه قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (124) النساء

فلا خشونة الرجل تكسبه فضلا من تقوى ولا نعومة المرأة تنقصها ذرة من إحسان.

و قد أقرت الشريعة الإسلامية مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في كثير من الأمور:

فهما متساويان في أنهما من أصل واحد وهو آدم وحواء.

و هما متساويان في التكاليف الشرعية التي أوجبها الله تعالى، والجزاء بالثواب والعقاب.

متساويان في طلب العلم والتزود بالمعرفة.

متساويان في حق التملك والتصرف.

إلا أن المساواة لا تعني العدل!

فالله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة لكل منهما تركيبة مختلفة، فالرجل رجل في خصائصه وتكوينه، والمرأة امرأة في خصائصها وتكوينها، لهذا فرق الله بينهما في أمور معينة.

و هذه التفرقة لصالح الرجل والمرأة معا، وبناء عليه كان للرجال عليهن درجة وللرجل حظ امرأتين من الميراث.

إن في قوله سبحانه:"بَعْضُكُم مِنْ بَعْضٍ"إشعار بأن الرجال من النساء والنساء من الرجال ولا فضل لأحدهم على الآخر، كما ليس لأحدهم غنى عن الآخر.

و آية القوامة جاءت على نفس الطريقة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾النساء34

فلم يقل سبحانه مثلا بما فضلهم الله عليهن!!

فبماذا فضلهم الله على بعض؟! قال تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

و من هنا كان للرجل القوامة لما له من رفعة في الدرجة ﴿ولَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة228

أي للنساء على الرجال مثل ما للرجال على النساء، وتأدية واجب كل منهما نحو الآخر يكون بالمعروف وهو الأصل، إلا أن للرجال على النساء مزية وزيادة في الحق، لماذا؟!

بسبب حمايتهم لهن، وقيامهم بشؤونهن ونفقتهن، وغير ذلك من واجبات ومسؤوليات...

و قوله تعالى "قَوَّامُونَ" جمع قوَّام على وزن فعَّال للمبالغة من قيام على الشيء وحفظه، والرجال يقومون على شؤون النساء بالحفظ والرعاية، والنفقة والتأديب، وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن وراحتهن، وسبب قوامة الرجل على المرأة راجع إلى ما فضّله (ميزه) به الله عليها من قوة في الجسم وقدرة على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها بسبب ما ألزم به الرجال من إنفاق على النساء.

فهذه الدرجة من المسؤولية أعطته حقا هو واجب على المرأة (طاعة الزوج) بما لا يخالف شرع الله جل وعلا.

فإعطاء الله تعالى مثلا لنساء النبي مكانة أعلى من بقية المؤمنات فيها من الرفعة والتشريف بقدر ما فيها من المسؤولية والتكليف، وهي أن من جاءت منهن بحسنة فلها الضعف، ومن جاءت بسيئة فلها الضعف ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا30وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الأحزاب31

ففي الوظيفة مثلا إذا تحصل الموظف على ترقية في مساره المهني أو الوظيفي فيها مزية لارتفاع في الرتبة وزيادة في المرتب، لكن في المقابل عليه مسؤوليات أكبر وأثقل مما كان عليه في رتبته السابقة.

فلماذا نقبل هذا بصدر رحب في القوانين الوضعية ونعرض عن ذلك في القانون الإلهي!؟

ثم إن حصول الرجل على ضعف ما للمرأة في الميراث ما هو إلا تحصيل حاصل لقوامته عليها.

ففي مجال الأعباء الاقتصادية، خفضت الشريعة الإسلامية جناح الرحمة والتكريم للمرأة وألقت بأعباء ذلك على كاهل الرجل وجوبا.

فالمرأة قبل زواجها أوجب الإسلام نفقتها على أُصولها أو فروعها وأقربائها، أما في حالة زواجها فنفقتها على زوجها حتى لو كانت تملك من المال ما يغنيها عنه!

بل حتى وهي مطلقة فالزوج يتحمل جانبا كبيرا من الأعباء المالية، إذ عليه أن يدفع لها مؤخر الصداق وعليه نفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت في فترة العدة، وعليه نفقة أولاده وأجور حضانتهم وتربيتهم...

و أيضا إن كانت حاملا فينفق عليها حتى تضع حملها، فإن وضعته وأراد أن ترضع له ابنه فعليه إعطاؤها أجرة هذا الإرضاع !!!

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ الطلاق6

فالتكاليف المالية على المرأة تقل كثيرا عن التكاليف المالية على الرجل، لأن الرجل مكلف بالنفقة على نفسه وعلى أولاده وعلى زوجته وعلى كل من يعولهم، بينما المرأة مالها خاص بها لا يشاركها فيه أحد إلا برضا وطيب نفس منها.

إذن فإن فضل درجة للرجال على النساء قابله فضل واجب ناحيتهن.

فالله تعالى لما كافأ نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن صرن أمهات المؤمنين وهو تشريف بقدر ما فيه من تكليف، مثلا لو طلقهن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يجوز لهن الزواج ثانية في حين يحل لغيرهن ذلك!

فالدين يحرم زواج الرجل من أمه وهن أمهات المؤمنين !!

فالذين تنطوي عليهم الجهالة يأخذون بظاهر الأمر ويتركون

باطنه، تشابهت عليهم الأمور واختلطت عليهم المفاهيم.

فأصبحت القوامة عند الرجل ضرب وإهانة وتعنيف، فراحت المرأة تعالج ذلك بقصور وقلة فهم وسوء تدبر، وفي زعم كل منهما أن الآخر مكلف بالإنفاق على نفسه!!

فقد شاعت في مجتمعاتنا الإسلامية مفاهيم دخيلة عليه مزقت الأسرة والمجتمع فصار بين الزوجين نزاع يفصم الوحدة الأسرية، لمّا فهم الرجل القوامة استبداد وقوة لا مودة ورحمة!!

فالنظر إلى المرأة والتشرف بصونها والاستقتال في حمايتها شعور فطري غريزي عززه الدين الإسلامي، يكاد يختفي في عصرنا.

قال عمرو ابن كلثوم في الجاهلية:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا

إذا لم نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا

و ها هو سيدنا أيوب عليه السلام لما ابتلاه الله في ماله وولده ونفسه صبر الصبر الجميل طوال 18 سنة!!

طوال هذه الفترة كان يحمد الله تعالى ويسبحه بالغدو والآصال، ولم يسأل الله أبدا أن يرفع عليه ابتلاءه.

و أي ابتلاء هذا! توفي أبناؤه جميعا وأعرض الناس عنه إعراضا، وبالرغم من هذا حمد ربه جل وعلا، فلما دخلت عليه

زوجته ذات مرة وكانت قد قصت ضفائر شعرها وباعته من أجله عليه السلام، سألها عن ثمن الزاد الذي أحضرته؟!

فأبت أن تخبره، فطلب منها أن تكشف عن شعرها ليراه قد قُص وبيع لأجله، هنا قال﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء83

تحمل المرض والفقر وذهاب المال وموت الأبناء، ولم يتحمل أن تقص زوجته شعرها وتبيعه!!

فهل ظل الرجال في عصرنا أنوفهم شامخة معتزين بحماية العرض وصيانة الأهل؟!

و هل بقيت المرأة تقبل قوامة زوجها لا قوامة مديرها؟!

أم تسللت برودة التقاليد الأوروبية الغربية وأنشأت جيلا آخر له منطق آخر؟

و قرن في بيوتكن

إن الرجل هو رب البيت والقيّم على الأسرة، ورئاسة البيت وقوامته عبء زائد ومسؤولية أثقل، وهي كما قال الشيخ محمد الغزالي تنمية لجملة من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوج وزوجته ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة228

و تكون المعاملة بالخلق الزاكي والمودة والرحمة، والفضل والترفع عن الصغائر، بيد أن الفهم الخاطئ لها أسقط مجتمعاتنا سياسيا واجتماعيا، وأضر بالدول والبيوت.

و لمّا مورست على غير نحوها ضاع الرجاء منها، فلمَّا احتقر الرجل المرأة رأت هي الأخرى في القيام على شؤون بيتها وأهلها ذلًّا وإهانة، فراحت تعظ على الوظيفة وصفة المرأة العاملة بالنواجذ !!

فقد أصبحت صفة المرأة الماكثة في بيتها الراعية له إهانة لها وتقليلا من شأنها فكان نتيجة ذلك استصغارٌ واستهانةٌ بواجب المرأة الأعظم وهو بناء أسرتها.

و من أهم الأفكار أيضا وفي المقابل المغلوطة عن الإسلام، أنه حرم المرأة من خدمة الدين والدنيا وأنها ممنوعة من العمل

أيًّا كان، فإن خرجت للعمل فالويل لها، فمن المحبط جدا أن تكون إحدانا عبقرية كيمياء أو فيزياء، ولا يسمح لها بإظهار ذلك أو ممارسته لأن الدين أمرها بالمكوث في بيتها!

فتجد المرأة المسلمة في منتصف الطريق بين طموح وموهبة تتباهى بها، وبين رغبتها في الامتثال لأمر ربها، أيهما ستختار...أمر صعب!!

الأمر في حقيقته ليس صعبا البتّة، فالدين الإسلامي الرائع والأروع لم يحرّم أبدا مسألة أن تتولى المرأة وظيفة تسد بها حاجياتها وتساهم ما أمكنها في خدمة المجتمع لكن بشرط أن لا تناقض الشريعة الإسلامية.

و إنها لسنة كونية أن لكل قاعدة استثناء!

و الأصل أن تلزم المرأة بيتها لأن دورها فيه أعظم وأجل، فتربية الأطفال تحتاج من الجهد البدني والفكري الكثير الكثير، فمن باب أسبقية وأولوية راحة المرأة أمرت بالمكوث في بيتها بينما يقوم الرجل بتوفير كل حاجياتها ومستلزماتها، كل حسب استطاعته على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، بيد أن الاستثناء على القاعدة هو الخروج للعمل.

فلو كان بزعم بعضهم أن المرأة مأمورة بالمكوث في البيت فقط وانقطاعها عن الدنيا وجاء الأمر بذلك على إطلاقه، فلماذا

يفرض عليها الله سبحانه وتعالى الحجاب!؟

لماذا يأمرها باتّباع وإتيان سلوك معين، من غض للبصر والمشي على استحياء ولفظ المعروف من القول وغيرها أثناء التعامل مع الجنس الآخر؟!

لقد كانت أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ سيدة صاحبة بصيرة، خبيرة بأغوار الرجال، كما قال الشيخ محمد الغزالي ـ فلا يخفى عليها معدن نفيس ولا يخدعها طلاء مزوّر، وما أكسبها ذلك هو عملها بالتجارة!!

و بالرغم من أنها كانت في الجاهلية إلا أنها كانت أرفع النساء قدرا وأطهرهن نسبا، فقد كانت تلقب بالعفيفة الشريفة في قومها، فالمرأة تعظم بأخلاقها وسيرتها الماجدة.

و هاهي زوجة سيدنا أيوب عليه السلام تعطينا أعظم الدروس في هذه المسألة حيث لزمت بيتها في وقت كانت في غنى لها عن العمل، لكن لما عجز أيوب عليه السلام وابتلاهم الله في المال والأبناء لم تدخر جهدا في سبيل تأمين لقمة العيش لها ولزوجها، وخدمة بعلها حين كانت أطرافه تتساقط لشدة مرضه، حتى وصل بها الأمر أن قصت ضفائر شعرها وباعتها، فكان جزاؤها من جزاء نبي الله أيوب عليه السلام.

و هاهي عائشة رضي الله عنها ونسوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كن يتعلمن من رسول الله ويعلمن نساء المسلمين، فقد كان بيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مدرسة، نساؤه هن من يقمن على شؤونها بمعيّته.

و لكن لمّا كان العمل غالبا ما يصاحبه اختلاط بالجنس الآخر، فإن ذلك يُصعِّب على المرأة المسلمة الحفاظ على حجابها وما أمرت به من غض للبصر والإعراض عن الخوض في أحاديث غير ضرورية كان الأحسن أن تبتعد عن ذاك المحيط كلِّه، لكن هذا لا يعني عدم استطاعتها فعل ذلك.

فالمرأة فيما مضى لما عرفت قدر نفسها وفصلت فيما يصح ومالا يصح، لما تمسكت بدينها فقد كانت قبله أشبه باللاشيء، علمت أن الأمر بالحجاب ما هو إلا للحفاظ على المكانة العالية لها حتى لا تعود لما كانت عليه قبل ذلك.

فلو غاصت المسلمة في دين ربها وسنة النبي الصحيحة لعلمت أن الإسلام قد كفل لها حق العمل لكن بضوابط تحفظ لها كرامتها وعفافها دون امتهان أو شطط، لا ما تحسبه العقول الفارغة أنه تحقير لها!!

فلقد رُزق الضلال بنساءٍ ينصرنه ويتبنين قضاياه، فهذه زوجة أبي لهب ناصرت آلهتها وكانت تحث زوجها على

محاربة الإسلام، وغيرها نسوة كثر في قريش ردّدن الأشعار والأقوال فأشعلن الحماس في جيش الطغاة، فهل سيحرم الإيمان والدين الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور نشاطا إنسانيا معارضا للكفر خادما للدين؟!

و في نساء المسلمات آلاف وآلاف ممن يستطعن خدمة دين الله، فلماذا يُحال بينهن وبين هذه الخدمة؟!

لقد شاركت المرأة في بيعة العقبة الكبرى وشاركت في بيعة الرضوان تحت الشجرة، وثمّن الله ورسوله ذلك لها كما للرجل تماما.

أما اليوم فلو كانت في موقف مماثل لقيل لها: امكثي في بيتكِ وهذا ليس من شأنكِ!!

فلمَا بنى المسلمون ردما ما بين المرأة والدنيا وجاء الغرب متعمدا وجعله دگا (حطمه) زاعما أنه من أجل حريتها، فمجّدت الغرب وأعرضت عن الإسلام!!

من المسؤول عن ذلك؟ أليس الكهان والجهال من المسلمين!؟

إنّ هؤلاء تعرفهم عصور الاضمحلال العقلي ولا يمكن أن يظهروا في مجتمع ناضج أو في سلف صالح.

لمَا أرسل مسيلمة الكذاب إلى النبي ـ صلى الله عليه

وسلّم ـ زاعما أنه نبي أرسل له النبي حبيب ابن زيد يدعوه لأن يكف عما هو فيه من خرافة ويؤمن بالله الواحد، فقتله مسيلمة وقطع أطرافه حتى فاضت روحه إلى بارئها، أقسمت أمه نسيبة بنت الحارث أن لا تغتسل حتى تثأر لابنها، فخرجت في غزوة اليمامة في صفوف المسلمين وقاتلت أعداء الله حتى قُطعت يدها،و أحاطت جيوش المسلمين بمسيلمة النبي المزعوم رغم أن جهادها بالسيف ليس فرضا عليها!

و في عصرنا لو صادف أحد الجهال المرأة الصالحة تخرج من بيتها لترد الكذابين على أدبارهم بنشرها علما أو تربيتها جيلا، لقيل لها: اقعدي في بيتك، لا يجوز لكِ هذا!!

و لكن على المرأة في مقابل ذلك أن لا تقلّد غيرها تقليدا أعمى بل عليها أن تنتهج نهج الحق في سلوكها وتتحرى الهدى في حياتها، فقد صرنا في بلاد المسلمين تتناهى إلى مسامعنا قصص لا يُتصور أن تكون في المسلمين قط، روايات يتفطر لها القلب ويشيب لها رأس الولدان، لما فيها من تعدٍّ وجرأة على استباحة حرمات الله.

إن في هذا الأمر دسائس وخسائس محظورة، من الخير تحصين النفس منها بتعلم حقائق القرآن الكريم لا نهج الفكر الأوروبي الشارد.

فإذا لم ينشغل القلب بمحبة الله ورسوله فستملؤه محبة الأهواء والمحرمات والشهوات، وإذا فاض القلب بمحبتها فهيهات له أن يعود ليمسك بالعروة الوثقى.

العلـــــــــم

العلم ليس كشف نقاط نبذل الجهود العظام لتحصيلها، ولا ضغطا أسريا نخضع له أو نتجنبه، ولا وظيفة نسعى لتقلدها، بل هو عبادة لله الواحد، فالعبادة تؤدى خالصة لوجهه الكريم وصوابا على سنة إمام الأنبياء والمرسلين، ولا يكون ذلك إلا إذا أوتي المسلم قدرا من العلم بها.

إن أعظم الأعمال التي لا يغفر الله تعالى عليها لعباده هي الشرك به سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عظِيمًا﴾النساء

و بالرغم من أن العالم كان يموج في ظلمات الشرك به سبحانه، بيد أن أول ما أنزله على قلب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن آيات تدعو إلى توحيده، لم ينزل جلّ في علاه

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص1

و لم ينزل ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة163

و لا قوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ فصلت6!!

إنّ أول ما نزل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ العلق

لا شيء يعادل توحيده جل وعلا وتنزيهه عما وصفه به الضالون لكن رغم ذلك كان أول ما نزل آيات كلها تدعو إلى العلم.

فقد جعل الله حبل العلم ممدود، وميراثه مشهود، لا يخيب راغبه، ولا يرد طالبه، فبه ينقاد الإنسان إلى ربه ويحسن عبادته حق عبادته، فهو أصل معرفة الهدى وبالهدى ينجو العبد من الشقاء والضلال ويتعرف على أسباب رضوانه عز وجل شأنه، ويدرك ما يسلم به من مساخط بارئه فيستقيم بذلك على الصراط، ومن استقام على الصراط سخرت له الحياة.

فطلب العلم والتزود بالثقافة المفيدة والمعرفة التي تعود على الأمة بالخير والصلاح هي أولى ما على المسلمين معرفته والسعي إليه، لأنه يعرف الأمة سبيل رفعتها وعزتها وسلامتها من كيد أعدائها.

فالتقصير في طلب العلم يضعف الخشية في القلوب، لهذا قصر الله تعالى خشيته والخوف منه على العلماء.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر28

و قد شرف الله العلم وأهله وأظهر للعالمين فضله وبين أن العلماء هم الذين يعقلون ما يضرب به للناس من أمثال﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت43

و جعل لواء دينه يرفع بالعلماء وشرفهم بالرفعة والتمكين، فلم يجعلهم على حد سواء مع غيرهم

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر 9

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾المجادلة 11

فهل يعقل أن نفرط في عبادة هذا شأنها؟ بل ونُعرض عنها مدبرين معرضين مستكبرين!

فالسابقون الأولون من المسلمين لما اتخذوا العلم عبادة تقربهم من الله تعالى لا لدنيا يصيبونها، أنجبت الأمة مسلمين من خيرة العلماء فكان لدينا أمثال الخوارزمي، ابن الرشد، وابن سينا...و غيرهم الكثير!

لكن مع اضمحلال الفكر الديني في العصور الأخيرة هبط المستوى الإنساني والاجتماعي والثقافي للمسلمين هبوطا مخجلا في طلب العلم، بعد أن أصبح طلب العلم عندهم مقرونا بالوظيفة والمال حتى أضحى طلبه على هامش أولويات المجتمع الإسلامي!!

فلما ساوى المسلمون بين ماديات الدنيا وعبادة عظيمة جليلة كالعلم أصبحنا حينها نترك الفرائض مستهزئين، ونقترف الجرائم بحق أنفسنا وديننا مفتخرين!!

بل إن بعضنا إذا سعى إلى طلب العلم والتزود به تبرأ من الإسلام وأصبح يرمقه بنظرات الترفع عنه!!

و يسعى راكضا وراء عقليات منكسرة ملتوية تبني نفسها على عقيدة معطوبة.

فيخطئ من يظن أن العلم الذي دعا إليه الإسلام عنوان خاص بأحكامه وآدابه (ديني فقط)، بل هو عنوان لجميع علوم الدنيا التي علمناها والتي لم نعلمها ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء9

فهل استشعر قلبٌ واستوعب عقلٌ وتأمل منطقُ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "أن العلماء ورثة الأنبياء"؟

و هل تأمل أحدهم يوما قوله ـ صلى الله عليه وسلم"من سلك طريقا يبتغي به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة" ؟

فأنّى لمسلم أن يعرض عن هذه العبادة الفضيلة إلا من سفه نفسه وفكره وأبى تحكيم مشاعره وعقله، بل إننا ما زلنا في مستنقع الخلاف الطائش بين عشاق الجدل العقيم في أحقية المرأة في طلب العلم من عدمه!؟

إن هذا السخف الذي يحوم في علو وهبوط ولم يستقر على شيء هو ما عكر رونق الإسلام الخالص، وردّ المسلمين إلى جاهلية طامسة مهلكة.

فالعلم أمر أساسي لا غنى للإنسان عنه ناهيك لو كان مسلما، لأن المجتمعات الإنسانية لا تقوم على ماديات فقط، مأكل ومشرب وملبس ومسكن، فذلك لا يميزهم عمن قال الله فيهم ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال22 شيء، وإنما تبنى على العلم الذي به تنتظم الحياة بما فيها لذلك يجب أن تستيقظ عقولنا من سباتها، لأن أنقاضنا هذه أقام العالم سطوته عليها، وأضحينا نترنح أمام ضرباته...

فإدراك الإسلام (العلم به) الذي يصفي القلب من الأهواء والعقل من الأوهام، هو ما سينقذ الأمة من أمواج الذهول

والاضمحلال الذي تغرق فيه، ويرص صفوف المسلمين في صف واحد وعلى قلب رجل واحد كأنهم بنيان مرصوص، فالأمة لا تصلح إلا بدينها.

وقفوهم إنهم مسؤولون

قال الدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ مادة علم الحديث الشريف في جامعة الأزهر أن إقامة المجتمع الفاضل القوي لا تكون من السطح الخارجي دون إرساء دعائم البناء، وإقامة الأساس الذي يبنى عليه المجتمع.

و الأسرة هي دعامة المجتمع، وهي الخلية الأولى الحية التي تتكون منها أفراده وتتلاقى فيها خلاياه، والأسرة القائمة على أسس سليمة، الصادرة من قيم فاضلة القائمة برسالتها خير قيام.

فالأسرة في الإسلام لها أهمية عظيمة جليلة، إذ أنها من الأمور التي تناولها القرآن مجملا وتفصيلا ولم يكن حظ السنة فيها إلا القليل، فقد فصلها القرآن الكريم منذ بداية التفكير في تأسيسها إلى غاية نهايتها (طلاق أو موت)، وما يجب أن تكون عليه حتى لا تكون أحكامها بعد ذلك عرضة لتفسير الأهواء والانحراف برسالتها.

و إن الأسرة المسلمة يجب أن تبنى على تربية إسلامية صحيحة، وتعمل جاهدة على إقامة شرائع الإسلام وتطبيق آدابه وأخلاقه التي لو وجدت تجسيدا لها في واقع المسلمين لما

أضحت أمتنا فيما هي فيه من ارتكاس وهوان، وإن إنشاءها يعقبه مسؤولية عظيمة سنُسأَل عنها أمام الله عزّ وجلّ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من جاء الله بقلب سليم.

إن كل ما سبق تناوله من عناوين، وعرض ما فيها من علل وهفوات يعود سببها الأول إلى عدم إدراك الزوجين لما عليهما من مسؤولية تجاه الله أولا وأبنائهم ثانيا، فالذي جعل المجتمع يتفكك يوما بعد يوم هو تفكك الأسرة نفسها.

فمهمة الزوج ليست مالا ينفقه على آل بيته، ومهمة الزوجة ليست القيام على البيت بالإلمام بما فيه من أعمال منزلية فقط، فخدمة الأبناء على هذا النمط وبهذا التفكير لا يختلف عمن قال الله تعالى فيهم﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ محمد12

بل إن المهمة الأسمى والأعظم هي حسن تربيتهم وتنشئتهم، وحسن مراعاتهم التي تقود الأبناء بدورهم إلى البرّ بهما والإحسان إليهما.

فليس الزواج علاقة رجل بامرأة شريفة شرف المجتمعات لا شرف البر والعبادات، بل هو جوارٌ يبنى على أساس من المودة والرحمة والمسؤولية التي تشرق بالود والحب والتعاون.

وقد وصف القرآن الكريم علاقة الزوجين ببعضهما وصفا

غاية في الروعة بقوله: "هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ"

هذه العلاقة المقدسة رباط غليظ تجعل لكل منهما حقوق وواجبات تجاه الآخر، ما إن تترعرع في كنف الدين الحنيف حتى تكتنفها المودة والرحمة وتولد السكينة والهدوء والاطمئنان.

ولن أفيض في هذا حديثا طويلا سوى أن أقول أنه على الرجل المسلم أن يقتدي بسيد المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ في معاملة بنيه وزوجه، وأن أسوق للمرأة المسلمة وصية حكيمة هي وصية (أمامة بنت الحارث) التي أوصت بها ابنتها ليلة زواجها، حيث قالت:"أي بنية، إنه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خلق النساء كما لهن خلق الرجال.

أي بنية، إنكِ قد فارقت الحواء الذي منه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليكِ ملِكاً، فكوني له أمَةً يكن لكِ عبدا، واحفظي عني خلالا عشراً تكن لكِ درگا وذكرا.

فأما الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة وحسن السمع والطاعة، فإن القناعة راحة القلب وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.

و أما الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منكِ على قبيح، ولا يشم أنفه منكِ إلا طيب الريح، واعلمي أي بنية أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النومة مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله، والرعاية على حشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنكِ إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوْغرتِ صدره، واتقي الفرح لديه إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده إذا كان فرحًا، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير.

واعلمي أنكِ لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواكِ، ورضاه على رضاكِ فيما أحببتِ وكرهتِ "

فهل فعلا كل من تزوج وسارع إلى المحكمة للطلاق، أو مقبل على زواج عرف قدر المسؤولية وعظمتها تجاه الشريك وتجاه الأبناء؟

هل لديه من الزاد الديني والأخلاقي والمعرفي ما يؤهله لتأسيس أسرة وتربية الأبناء وبناء الأجيال؟

هـل أدركنـا حقـا أن الـزواج أمـــــانة سنُسـأل عليهـا يـومَ القيامـة؟

إن كنا كذلك، فمن المسؤول عن جيل اليوم؟

و في نهاية سطور هذا المؤلف الذي أعجز أن أعطيه حقه لكن هذا ما اهتدى إليه العقل ووصلت إليه البصيرة أقول: إن الإسلام خضوع لله وتسليم النفس والأمر إليه سبحانه، أي إقامة العلاقة بين الإنسان وربه على مبدأ السمع والطاعة له.

و الطاعة لا تكون إلا بمعرفته جل في علاه، وحبه وحده دون أن نجعل لـــه في ذلك أندادا، ولا يجتمع إسلامٌ لله وتمردٌ عليه، أو خضوع لـــه ورفضٌ لأمره، فينبغي لهذه الأمة أن تكون مثلا عاليا في إسلام الوجه لله وإفراده بالنية والعمل.

يجب أن نسارع إلى تدارك المسالك الشائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين التي لها دلالاتها الخطرة على فساد التفكير، وظلال الاتجاه، واضطراب المقصد.

فلقد أخلطنا بين الحق الذي نزل من عند الله وبين الباطل الذي افتراه البعض على دينه سبحانه، وزعموا أنه دين فأضحينا لا نفرق بين السنن والبدع، وعلمٍ وجهل، وهدًى وهوى، فاستوحش الإسلام في أيامنا حتى أضحى غريبا!

فالعلل لا تعالج بالجهل، ومصابنا يزول فقط بالنشاط العلمي الدؤوب وإعادة الصلة بالله عن طريق المنطق السمح والجدال الحسن، لأنه عندما انكسف فينا نور العقل ونفذت طاقة الإيمان بالله فينا، والعمل لإعلاء دين الله صرنا صرعى

الأوهام والخيالات.

و لما كانت مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد، فقد أحب أعداؤنا ما نحن فيه وشغلونا بما ليس فيه صلاح لنا، فلا زلنا نتطاحن عن أمر الخلافة الإسلامية ومن كان أحق الناس بها منذ أربعة عشر قرنا مضت!!

يريدوننا أن نبني حاضرنا على خلافاتٍ بالية، ففصمت بذلك وحدتنا، فلما كان أسلافنا تربةً لا تقبل بذور الكفر وجوّهم لا يعين على نموّه، انهزمت أوروبا في حملاتها الأولى بهذه المشاعر الفياضة بحب الله ورسوله، واليوم تمكنوا منا في غياب هذه المشاعر فينا.

و في مستنقع التناقض والتطاحن الذي بيننا يكسب الاستعمار العالمي معاركه ويفرض نفسه، فمن السخف أن نخطئ نحن دائما ثم نسوق كلمة المؤامرة والخديعة واستهداف الدين، فما استهدفوه وتمكنوا منه ومنا إلا حين فرطنا فيه.

إن أمما لم تدخل أبواب التاريخ إلا بالإسلام وما تمت لهم قيادة، وما عرفت لهم حضارة، ولا تحققت لهم سيادة إلا تحت راية الدين الإسلامي، فكيف نترك ذلك وراء ظهورنا ونقبل على الأهواء التي لم ترقى بنا لأي من المحامد الفاضلة، ولا الحياة الكريمة؟!

لقد اقترفنا ما لا يليق بأمة المسلمين وعشنا في الظلال أمدا من الدهر، أما كفّانا ذلك؟!

و إن لثمار هذا في ماضينا لعبرة عظيمة، وفي حاضرنا عبر أعظم

و ختاما أقول أنني أردت أن ألخص لنفسي ولإخواني في هذا المؤلف مختصرا يجمع بعضا مما تفرق في الكتب، وضاع منا في واقع حياتنا، ولولا عون الله وفضله ما كنت لأخُطّ حرفا، وأملي أن أكون قد وفقت في ذلك.

و أسأل الله أن يجمعنا على الحق ويهدينا سواء الصراط، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه سبحانه إنه سميع مجيب.

الفهرس

مقدمة	5
غير المسلمين	13
◊ لماذا لا تكون المسيحية ديانة الإرهاب!؟	21
◊ ماذا عن الديانة اليهودية!؟	23
◊ ماذا عن البوذية وعبدة الشيطان!؟	24
◊ لماذا لم يتفقوا على شيء إلا على حرب الإسلام!؟	25
المسلمون أنفسهم	29
حقيقة التوحيد	33
ولقد كرمنا بني آدم	41
واضربوهن	51
وهل تزني الحرّة !؟	59
لا إكراه في الديــن	61
◊ الحجاب	62
◊ الصلاة	66
التمدن والتحضر	70
◊ الاستغلال الجنسي	74

◊ الخيانات الزوجية 74
◊ العنف الأسري 75
◊ الأمراض الجنسية 75
الرجال قوامون على النساء، وللذكر مثل حظ الأنثيين 78
وقرن في بيوتكن 86
العلـــــــــم 93
وقفوهم إنهم مسؤولون 99